-

جـــواهـــــر الخطـــابـــة

عـــن

آل البيـت والصحـــابـة

إعداد

توفيـــق بـن محمـــد مصـــــيري

-

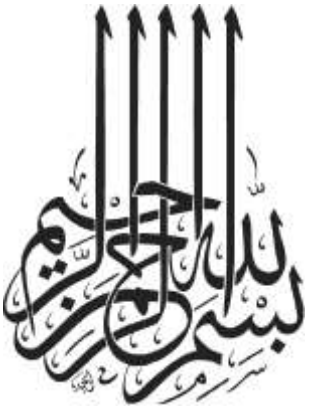
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على نبينا محمد المفضل على البشر- بجوامع الخطاب، وعلى آله المطهرين والأصحاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة تنجي صاحبها يوم الحساب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعـــد:

فإن الخطب طليعة جيوش ورثة الأنبياء تفتح آذان المصلين فتحاً، وتدخل أراضي القلوب صلحاً؛ إلا أنها لا تأخذ من الناس الفيء والمغانم، بل ينالهم بسببها الأجور الكثيرة وتمحى عنهم المآثم، مع تصحيح الاعتقاد، وحماية القيم والمفاهيم السليمة من الفساد؛ لاسيما لمن أحسن الاستماع، وقصد المسجد طلباً للانتفاع، فهؤلاء يصير كلام خطيبهم كلامهم، ومنه يأخذون حجتهم واستدلالهم.

وخطيب الجمعة هو مسئول هذه الشعيرة، ووارث وظيفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخطيرة، وبيده تحقيق الهدف المنشود، أو التفريط فيه والقعود.

ولا شك أن دعم الخطيب في هذه الأمور الجليلة من توفير الجهد عليه، وتقريب مادة الخطبة إليه، غاية كريمة وخدمة عظيمةٌ، لذا اجتهد فيها غيرُ واحدٍ فسجَّل وكتب، حتى تلألأت المكتبة الإسلامية بكوكبة مضيئة من الأشرطة والكتب.

ومساهمةً منا في تحقيق هذه الغايات الحميدة، قمنا بإعداد كتاب في الخطب يتميز بفكرته الجديدة، وتخصصه في العناية بالآل الكرام، والصحب العظام، فهم سادة الأتقياء، وخير الناس بعد الأنبياء.

مواقفهم الفاضلة في الإسلام مشهودة، وعدد محاسنهم تكاد أن تكون غير

محدودة، مع احتواء الخطب على الرقائق بما يفيد الخطيب، ويسعفه بما ينفع ويطيب.

هـذا وقـد تعمـدنا في هـذه الخطـب سـهولة العبـارة، وعـدم عـزو بعـض النصوص لئلا يثقل الكتاب والحليم تكفيه الإشارة، وإن كنا قد بذلنا وقتاً في تجميعها، وجهداً في ترتيبها.

- **ونودُّ أن ننبه هنا إلى أمورٍ مهمة يحتاجها الخطيب:**

منها: أن وعظ الناس عبادة، فلا بد أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لا رياء فيها ولا سمعة، وأن تكون على هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: أن الخطبة لا بد منها في صحة صلاة الجمعة، والذين لا يخطب فيهم للجمعة يصلونها ظهراً فإنه على هذا جرى العمل.

ومنها: أن يحذر الخطيب من أن يعظ الناس بما يسعه فعله ثم لا يأتيه، ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يجاء بالرجل يوم القيامة فتندلق أقتاب بطنه في النار، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيقول له أهل النار: يا فلان! ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! فيقول: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه).

ولا شك أننا مقصرون مذنبون، ولكن كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (سددوا وقاربوا..).

ولو لم يعظ في الناس مَن هو مذنبٌ فمن يعظ العاصين بعد محمد

ومنها: أنه ينبغي للخطيب مراعاة حال المستمعين، فيختار الخطبةَ التي تناسبهم زماناً ومكاناً.

ومنها: أنه ينبغي للخطيب أن يرفع صوته بالخطبة.

ومنها: أن أكمل الخطب عند العلماء هي التي اشتملت على حمد الله والثناء عليه، والشهادتين، وشيءٍ من القرآن، والأمر بالتقوى موعظةً للناس، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم،والدعاء، وخطبنا هذه كلها مشتملة على ذلك.

نسأل الله تعالى أن يبارك في هذا العمل، وأن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يثيب كل من ساهم في إنجازه أحسن الثواب، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١)

في علو مكانة الصحابة والقرابة

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في خيرِ القرون، فهم خيرُ الناس للحقِّ قبولاً، واختار له من الصحابة أقواهم تمسكاً به وأصدقهم دخولاً، واصطفى له من القرابة أكملَ الناس عقولاً، فكانوا أقومهم ديناً وأغزرهم علماً، وأشجعهم قلوباً، وأحسنهم فهماً، جاهدوا في الله حق جهاده، فأقام بهم الدين، وفضلهم على جميع العالمين من أتباع الأنبياء والمرسلين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته العدول الراشدين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أيها المسلمون! يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، وقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح]، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح]، وقال تعالى في حق المهاجرين: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر] وعلى رأس هؤلاء المهاجرين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وعن صحابة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين.

وقال تعالى في حق الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

وقال تعالى في حق من أسلم من بعد المهاجرين والأنصار من بقية الصحابة وأهل البيت، وهي شاملة لكل من جاء بعدهم من أهل الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر].

وقال أيضاً: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]، والحسنى هي الجنة.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أذكركم الله في أهل بيتي**)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه**)، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله.

أخي المسلم! فهذه طائفة من آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة النبوية،

وهي دالة كل الدلالة على مكانة أهل البيت والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

إن هذه النصوص خير شاهد على مكانة الصحابة والقرابة عند الله تعالى، وعند نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وهي دليل على الوحدة الإيمانية، والصف الموحَّد.

عباد الله! إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصطَفون لصحبته كما اصطفاه الله لرسالته.

فمن أحبهم فما أحب إلا الخير، وما نفع إلا نفسه، ومن ذمهم فقد وصَمَ نفسه، وبخسَ حظه، وأضاع نصيبه.

وكذلك هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهاهو إمام أهل السنة محمد بن الحسين الآجُرِّي يقرر في كتابه (الشريعة) أن محبة أهل البيت واجبة، فاسمع إلى ما يقول رحمه الله، يقول: «**واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بنو هاشم علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واجب على المسلمين محبتهم وإكرامهم واحترامهم وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم، فمن أحسن**

من أولادهم وذراريهم فقد تخلق بأخلاق سلفه الكرام الأخيار الأبرار، ومن تخلق منهم بما لا يحسن من الأخلاق دُعي له بالصلاح والصيانة والسلامة...».

فهذا الكلام يدل على أن لأهل البيت مكانة عظيمة، فهم الذين طهرهم الله وزكَّاهم وأذهب عنهم الرجس، وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن حبهم واجب والذب عنهم دليل ذلك، وهنا نقف وقفة تأمل في كلام خليفة راشد، وإمام مجاهد، يصف أصحاب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.. إنه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فعن أبي أراكة قال: صليت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر، فلمّا سلّم استقبل عن يمينه، ثم مكث كأنَّ عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قَيدَ رمحٍ، قال وقلب يديه:

(لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شُعْثاً صفراً غبْراً، بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعزى، قد باتوا لله سُجداً وقياماً يتلون كتاب الله، يُراوِحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وَهَملتْ أعينهم حتى تبلَّ ثيابهم، والله لكأنَّ القوم باتوا غافلين).

عباد الله! إن حياة أهل البيت والصحابة الكرام، لم تكن حياةً من أجل الدنيا

وجمع الأموال والتفاخر؛ بل كانت الدنيا أحقر ما يكون لديهم، وكانت غايتهم هي نيل رضا رب العالمين.

عباد الله! إن حب أهل البيت الكرام هو حب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تشرفوا بثلاث: شرفهم الله أولاً: بالإيمان بالله، وثانياً: لأنهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وثالثاً: لأنهم أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك قال أبو بكر الصديق لعلي رضي الله عنهما: (**والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبُّ إليَّ أن أَصِلَ من قرابتي**)، رواه البخاري ومسلم.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يحبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحبون أهل بيته وصحابته الكرام.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، نحمده سبحانه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيمِ سلطانه.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والأنبياء من إخوانه.

أما بعــد:

فقد يقول قائل: إنك تتحدث عن الصحابة والقرابة، وحبهم معروف لدى الجميع.

والحقيقة هي كذلك، ولكن هناك ممن ينتسب للإسلام من لا يعرف مكانهم أو يغمطهم حقهم الذي أوجبه الله علينا، فلنذكر الفوائد والعبر المستفادة من هذه الخطبة، وهي:

أولاً: أن حب الصحابة وأهل البيت يدل على صحة اعتقاد الرجل؛ لأن الطاعن فيهم طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والطاعن فيهم طاعن في صحة شريعته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهم هم الذين بلغوها بعد موته صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله.

ثانياً: أن من آذى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه يكره أذيتهم ويأمر بمحبتهم

ومودتهم؛ إذ هم خاصته وأحبابه صلى الله عليه وآله وسلم الذين انتسبوا إليه واتصلوا به.

ثالثاً: أن لكل أمة رجالاً يُقتدى بهم، وأمة الإسلام تقتدي بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهم خير جيل وطِئَ الأرض بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول: (**خيركم قرني**)، كما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

رابعاً: أن محبة أهل البيت فرض علينا، فنحن ندعو لهم في كل صلاة من الصلوات الخمس بقولنا: (**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**..).

خامساً: أن الدعاء للصحابة واجب بما بذلوه من تبليغ رسالة رب العالمين، وبما قاموا به من فتوحات، ونشر لتعاليم هذا الدين.

سادساً: أن الصحابة وأهل البيت يمثلون الصورة الصحيحة للإسلام، وكثير من الحاقدين على هذه الأمة يحاولون الطعن فيهم وتشويه صورتهم للطعن في دين الإسلام.

سابعاً: أن ما نلمسه في حياة الصحابة ينبغي أن يكون حياً في واقعنا، ولا يبقى مجرد أحاسيسَ ومشاعرَ وأفكارٍ وجدانية دون واقع ملموس.

ثامناً: نستفيد من هذه السيرة العطرة المباركة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة تربية أنفسنا أولاً على مبادئهم وعقائدهم، ثم نغرس هذه التربية في قلوب أبنائنا وبناتنا، فإنه بمثل حياة الصحابة وسيرهم ينتصر

المسلمون، ويعز هذا الدين، ويرضى رب العالمين.

تاسعاً وأخيراً: يجب أن نتعلم من مجتمع الصحابة وأهل البيت الكرام، كيف نعمل في مجتمع واحد هو مجتمع الإسلام، الذي جعل الناس سواسيةً كأسنان المشط، لا يفرق بين الرومي، والحبشي، والفارسي، والقرشي.

فدعوة صادقة أن نحيي سيرة هؤلاء العظماء في أنفسنا وأهالينا ومجتمعاتنا، وأن نترجم أخلاقهم إلى واقع عملي؛ علَّنا أن نلحق بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأن نقطع السبيل على كل من يحاول المساس بجنابهم المعظم ومقامهم المكرم، وأن ندعو لأنفسنا ولهم بالمغفرة والرضوان، كما أُمرنا في القرآن الكريم، ولا نحمل في صدورنا غلاً لأحدهم أو احتقاراً فنزيغ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

عباد الله! صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، اللهم فصلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم ارضَ عن الصحابة الأخيار، وآل البيت الأبرار، اللهم إنا نشهدك حب نبيك، وأهل بيت نبيك، وأصحاب نبيك، ومن سار على نهج نبيك صلى الله عليه وآله وسلم.

اللهم وفقنا لِمَا تحب وترضى، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، ودمر أعداءك أعداء الدين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم آتِ نفوسنا تقوها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

(٢)

جهود الصحابة في الفتوحات الإسلامية

الخطبة الأولى:

الحمد لله المتفضل على من شاء من عباده بما شاء من مِننِه وهباته، نظر إلى قلوب خلقه جميعاً، فلم يجد بعد الأنبياء أنقى ولا أطهر من قلوب الصحابة الكرام، فاختارهم وزراء لنبيه، وجعلهم حواريين لصفيه، بعد أن صنعهم على عينه، فكان منهم رجالاً من رجالات الحياة، وأكرم بحياة يكون هؤلاء رجالها!

تركوا أوطانهم، ولم يركنوا إلى ملذاتهم، وخرجوا من أموالهم وأولادهم، حاملين رسالة الإسلام؛ لينشروها في دنيا الخافقين، فسطروا في ذلك أروع البطولات، وقدموا من أجل ذلك أنصع التضحيات، فهنيئاً لهم عند الله أعلى الدرجات.

وأشهد أن لا إله إلا الله رفيع الدرجات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيدُ البريات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما نطقت الألسن بتلاوة الآيات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أيها المسلمون! عنوان خطبتنا هو «**جهود الصحابة في الفتوحات الإسلامية**».

فالجهاد والفتح الإسلامي لبلاد الكفر يدل دلالةً واضحةً على صلاح ذلك الجيل وما فيه من الخيرات، وفيه دلالة على علو همة الخلفاء والقادة والملوك وصدقهم وإخلاصهم لله رب العالمين، فهذا أبو بكر الصديق يطهر الجزيرة من المرتدين، وعمر يقوم بفتح الشام ويدك معاقل كسرى، وعثمان يفتح بلاد المشرق، وعلي يطهر بلاد المسلمين من الخوارج، ومن بعدهم يجاهد الروم ويغزو القسطنطينية.

عباد الله! اعلموا أن السلطان زمامُ الأمور، ونظامُ الحقوق، وقوامُ الحدود، والقطبُ الذي عليه مدار سياسة الدنيا التي يملكها، فهو حمى الله في بلاده، والمستخلف على عباده، به يمتنع ضعيفهم، وينتصر مظلومهم، ويندفع ظالمهم، ويأمن خائفهم؛ ولذلك فقد وردت فيه فضائل عظيمة إن كان من أهل العدل،

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: إمام عادل...**) متفق عليه. وأول من يدخل في أولئك: الخلفاء الراشدون، فقد اشتهرت فترة خلافتهم بالعدل في أعلى صورة، حتى شهد لهم بذلك القاصي والداني، والموافق والمخالف.

عباد الله! إن فتوحات الصحابة رضوان الله عليهم كانت فتوحات إيمان، فقد كانوا بأنفسهم القدوة، وكان فعلهم أقوى من قولهم، فقد كانوا أعظم الرجال، فلهم الأثر الأكبر في هذه الفتوحات، وما ذلك كله إلا للعقيدة الصحيحة التي يحملونها، كيف لا وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنصاره!

عباد الله! إن تربية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ليست مجرد تربية؛ بل هي النخبة، فكل فرد من أفراد الصحابة ذو شأن في عظمته تقوم عليه دولة، وتنهض به أمة، كما أثبت ذلك التاريخ، فهذه أمثلة نوردها من فتوحات الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين..

فهذا العلاءُ بن الحضرمي الصحابي الجليل، قال عنه ابن كثير رحمه الله: «كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد، مُجابي الدعوة، اتفق له في هذه الغزوة التي غزا بها البحرين أن ذلّل الله له البحر، فاقتحم البحر بفرسه، وهو يقول: ارحم يا أرحم الراحمين يا حكيم، يا كريم... فجاوز الخليج بإذن الله،

وقهـر العـدو، وأخـذ غنـائمهم، حتـى قـال رجـل مـن المسـلمين في مرورهم البحر:

ألمْ تَرَ أنَّ الله ذلَّلَ بحرَه وأنزلَ بالكفارِ إحدَى الجَلائلِ

دَعَوْنا إلى شقِّ البحارِ فَجاءنا بأعجب مِن فلقِ البحارِ الأَوائلِ»

وهذا الصحابي عُتبةُ بن غَزْوان أحد السابقين إلى الإسلام، وكان له الأثر الكبير في محاربة المرتدين من أهل عُمَان والمهرة وردهم إلى الإسلام، ثم فتح الله عليه جنوب العراق والأهواز، حتى قال المؤرخون: إن جيش عتبة صار لا يَعلم بقوة حربية للفرس في الجنوب إلا وقتلها وفرَّق جمعها، فمن ذلك أن عتبة بلغه أن (مُرْزَبَان) لديه جموع من المحاربين الفرس، فخشي أن يوجههم نحو المدائن، فسارع إليه وهاجمه، ثم قتله بعد أن دمر جيشه.

هذا هو عُتبةُ الزاهد.. وهكذا فليكن القادة.

ولهذا وقف التاريخ.. وقف وسجل بأحرف من نور همم هذه الفئة.

وهنا يقف العقل والقلب ويسأل: كيف يمكننا أن نصير إلى ما صار إليه هؤلاء الأبطال؟!!

أيها المسلمون! إن فتوحات الصحابة ما زالت شاهدة على حسن صنيعهم، فهاهي البصرة إسلامية وفارس كلها، وهاهي ذي منائر سجستان يرفع فيها

الأذان.. كم لعاصم بن عمرو التميمي من فضل يوم أن كان سبباً في إدخال الإسلام على أهل تلك البلاد إلى اليوم! كم لعبد الله بن أبي السرح فاتح إفريقية من الأجر، فرضي الله عن فاتح إفريقية سهلها وجبلها كم أوقع في أهل الشرك والكفر والإلحاد.

وليس هذا فحسب، وليست إفريقية وحدها شاهدة لهم وله على ذلك؛ بل فتح قُبرصَ وغيرها، وهذه الفتوحات ليست فقط مفاخر للذين باشروا القتال بسيوفهم؛ بل دليل على كمال القادة أيضاً، فاكتمل بذلك صلاح الراعي والرَّعية.

واسمع كيف مات قائدهم رضي الله عنه، مات وهو يصلي، وكان يدعو فيقول: (**اللهم اجعل خاتمتي على صلاة الصبح**).

وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه مكَّنه الله من فتح مصر وليبيا، وتممها من بعد ذلك تلميذه التابعي عقبة بن نافع القائد الصالح المجاب الدعوة.

يا عبدَ الله! هذا أبو بكر يطارد فلول المرتدين، وعلي بن أبي طالب يحارب المتأولين والمارقين من الخوراج، والحسن يصلح بين المسلمين، وعمر بن الخطاب يقوم بفتح فلسطين، وخالد بن الوليد قائد المجاهدين، وعلى يديه تدفع أول جزية بالشام في عهد الصديق، والسؤال مرة أخرى: أين أنت من الإسلام والمسلمين؟!!

أيها الناس! لو قمت بعرض معارك رجل من رجال الصحابة لما وسعني الوقت؛ لكن بالمثال يتضح المقال.

فهذا خالد بن الوليد يقوم بهدم العُزَّى إله قريش، ويأسر أُكَيْدِر صاحبَ دومَةِ الجنْدَل، ويقوم بمطاردة المرتدين، ويغزو اليمامة، ويهزم الفرس، ويجاهد في الأَنبار، ويختطف قائد النصارى، ويشرب السم باسم الله فلا يضره شيء، ويهزم الفرس والروم ونصارى العرب في معركة واحدة.

أخي المسلم! إن الفتوحات لم تقتصر على الخلفاء والأمراء والقادة فقط، فالتاريخ لم يبخل علينا بشيء حتى في سيرة الجنود؛ وقد كتب لنا المعارك مفصلة؛ بل إن الفتح لم يكن مقصوراً على من كان صحيح البدن، قوي النظر، فهذا الصحابي الجليل مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بنُ أم مَكْتوم الأعمى، يأبى إلا أن يشارك في معركة القادسية، ويقول: (**ادفعوا إلي اللواء؛ فإني أعمى لا أستطيع أن أفر، وأقيموني بين الصفين**).

لله درُّك يا مؤذنَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين تشهد الوغى والرماح، ووقع الأسنة، وتمسك بالراية وأنت أعمى! من أي طينة طاهرة كنتم؟ وبأي أرحامٍ حُملتم؟ ومن أي الأصلاب خرجتم؟ لكأنكم أتيتم إلينا من عوالم عُلوية! لا.. إنما هي الحياة الصادقة في ظل العقيدة الإسلامية.

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [الأحزاب].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفاء.. **وبعد:**

فإن سير الفاتحين والمجاهدين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست بقليلة، وقد ذكرنا بعضها، والآن نذكر طرفاً آخر من حياتهم؛ علّها تجد فينا من يجدد إيمانه، ويُخلص في عمله، ويصدق في قوله، ويعتز بدينه، لتكون نبراساً وطريقاً نمشي عليها.

عباد الله! إن الصحابة جمعوا بين العلم والعمل، فهذا خالد يجاهد، ويفتح الأمصار، فيقوم من بعده أبو هريرة رضي الله عنه يُعلِّمُ الناس الفقه، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعلمهم القرآن، وابن عباس رضي الله عنه يفسر القرآن، ويعلمهم تأويله، وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه لا يألو جهداً في تبليغ الناس العلم، وهكذا...

فما كان الصحابة يفتحون مصراً من الأمصار، حتى كان علماء الصحابة يقومون بتعليم الناس، فلا تعجب فحياة الصحابة كلها أعاجيب!!

وبعد هذه الجولة القصيرة في حياة الصحابة، ما هي المواقف والعبر

المستفادة من تاريخ تلك الحِقبة التي هي أشبه ما تكون بالخيال؟

أيها الناس! إن العز والتمكين لا يكون لهذه الأمة إلا برجال مخلصين، ولا يكون ذلك إلا بإيمان صادق بأن النصر والتمكين لهذه الأمة المسلمة لن يكون إلا بالجد والعمل، وبذل الأسباب الشرعية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور:٥٥].

أيها الناس! إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، فماذا بذلنا نحن؟ هل أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولو في أنفسنا وأهلينا؟ هل حافظنا على عباداتنا من صلاة وصيام وزكاة وقيام وصلة رحم... وأديناها كما أمر الله تعالى؟

أيها المسلم! إن من يشكِّك في فضل الصحابة، وهم أناس قد حَطُّوا رحالهم في الجنة من سنين، حقيقٌ بأن يُهزمَ ويُغلب؛ لأننا نعلم من كل حادثة ومعركة وموقف للصحابة رضوان الله عليهم إيمانَهم وصدقَهم ونصحَهم.

لقد رأينا حرص الصحابة على نشر الدين وتعليم المسلمين، فما وهنوا؛ بل سابقوا إلى الخيرات، فذاك يجاهد بسيفه، وهذا بقلمه، والآخر بلسانه، والرابع يدير سياسة الأمة، فلم يكن أحدٌ منهم يحرص على الاشتغال بالأموال؛ لأنهم قد

علموا أن الدنيا دارُ فناء، وكل شيء فيها فانٍ، وهو إلى زوال، وأن الآخرة هي دار القرار.

ويوضح ذلك صنيع أبي أيوب الأنصاري، فبعد أن جهَّز معاويةُ بن أبي سفيان جيشاً يغزو القسطنطينية، وأرسلهم إليها، وكان في الجيش من فضلاء الصحابة؛ ومنهم أبو أيوب الأنصاري، والحسين بن علي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم رضي الله عنهم.. فكان مما جرى في هذه المعركة ما أخرجه الإمامان أبو داود والترمذي من حديث أَسْلمَ التجِيبِي قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه! لا إله إلا الله يُلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: (**إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لمّا نصر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأظهر الإسلام، قلنا: هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى:** ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] **فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها، وندع الجهاد**)[1].

قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن

(١) الصحيحة رقم: (١٣).

بالقسطنطينية.

أيها المسلمون! هذا هو الجيش الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**)، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

أما أبطال آل البيت ففضلهم في الدفاع عن الدين وقتال المشركين أكثر من أن يُحصر، وأشهر من أن يُذكر، فحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله نصر الله به الإسلام في بدرٍ وأحد، وأبلى بلاءً حسناً حتى قتل شهيداً بعد أن أثخن في الكافرين، وهذا علي بن أبي طالب حامل لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معاركه، وفارس الميدان في أكثر غزواته، أرهب الله به المشركين في غزوة الأحزاب، وفتح الله على يديه حصن خيبر، وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أحد أمراء المسلمين في معركة مؤتة العظيمة، قاتل الكفار حتى قطعت كلتا يديه فاحتضن الراية بصدره، ثم استشهد وأبدله الله بيديه بجناحين يطير بهما في الجنة.

هذه نماذج من جهود آل البيت والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في العمل لهذا الدين، فهلَّا جعلناهم لنا أسوةً في أقوالهم وأعمالهم وبذلهم وتضحياتهم!!

فَتشبَّهوا إنْ لم تكونوا مِثلَهم إنَّ التشبه بالكرامِ فلاحُ

عباد الله: صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، اللهم فصلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا معهم بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم.

اللهم إنا نشهدك أننا نحبك، ونحب نبيك، وأصحاب نبيك، وأهل بيت نبيك، اللهم فاحشرنا معهم يا رب العالمين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجمع كلمة المسلمين على الحق يا رب العالمين، اللهم أصلحنا وأصلح بنا، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال، إنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها إنه لا يصرف عنَّا سيئها إلا أنت.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

-

(٣)

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعل في هذه الأمة من الصديقين والشهداء والصالحين ما نفتخر به على سائر الأنام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله: إن أول خلفاء الإسلام هو الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أحد عظماء الإسلام، وهو صديق هذه الأمة.

لقبه بالصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري: (**أن النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فارتَجَّ بهم، فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**)، وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال أبو مِـحْجَن الثقفي:

سَبقتَ إلى الإسْلامِ واللهُ شاهدٌ وكنتَ جليساً في العريشِ لأَحمدِ

ولقب بالصاحب، لقبه به الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

ولقبه الله بالأتقى فقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [الليل]، والأتقى هو أبو بكر رضي الله عنه كما ذكر المفسرون، ولُقِّب بالأواه، فعن إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر يسمى بالأواه لرأفته ورحمته، وكان له من الأولاد سته، ثلاث إناث وثلاثة ذكور.

سُـمِّيتَ صِدِّيقاً وكلُّ مُهاجرٍ سواكَ تسمَّى بِاسمهِ غيرَ منكِرِ

كان أبو بكر في الجاهلية من وُجَهَاءِ قريش وأشرافهم، وأحد رؤسائهم، واشتهر عنه العلم بالأنساب والتجارة، وكانَ موضِع الأُلفَةِ بين قومه، ومَيل القلوب إليه، ولم يشرب خمراً في الجاهلية قط.

أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحمل الدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتعلم منه أن الإسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن المؤمن لا يكون مؤمناً حتى يهبَ نفسه وما يملك لله رب العالمين.

وكان من ثمار دعوته رضي الله عنه دخولُ صفوة من خيرة الخلق في الإسلام بسببه، وهم: الزبير بن العوام، وعثمانُ بن عفَّان، وطلحةُ بن عبيد الله، وسعدُ بن أبي وقاص، وعثمانُ بن مظْعون، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاح، وعبد الرحمن بن عَوف، وأبو سلمةَ الأسدي، والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم.

ومع اهتمامه رضي الله عنه بدعوة الناس فقد اهتم بأهل بيته أيضاً، وقد كانت دعوته بالأخلاق والصفات الحميدة التي لابد منها فيمن يريد أن يدعو إلى الله.

عباد الله! إن شخصية الصديق رضي الله عنه تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرباني، وكان له رصيد من الفضائل.

منها: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر)**[1]**، وسئل** صلى الله عليه وآله وسلم: **(أي الرجال أحب إليك؟ فقال: أبو بكر)**[2].

---

(١) صحيح الجامع (٥٨٠٨).

(٢) صحيح الجامع (١٧٧) بنحوه.

إن أبا بكر رضي الله عنه هو المساهم الفعلي والمشارك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الوقائع والأحداث التي تعرض لها منذ البداية إلى النهاية، كيف لا وهو صاحبه وقرينه، ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً**)، وهو في صحيح البخاري أيضاً من حديث ابن الزبير وابن عباس.

قال الزمخشريُّ في الخصائص: «إن أبا بكر كان مضافاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأبد؛ فإنه صحبه صغيراً، وأنفق ماله من أجل الإسلام كبيراً، وحمله إلى المدينة على راحلته وزاده، ولم يزل ينفق عليه ماله في حياته، وزوجه ابنته عائشة رضي الله عنها، وكانت البكر من نسائه، ولم يزل ملازماً له سفراً وحضراً، فلما توفي رضي الله عنه دفن بجواره»، قال الشاعر:

عَنِ المرءِ لا تَسألْ وسَلْ عنْ قرينِهِ فكلُّ قَرينٍ بالمقارنِ يُنسبُ

عباد الله! إن لأبي بكر الصديق مواقفَ تاريخية لا تنسى، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

هجرته رضي الله عنه إلى الله، فقد هاجر مع رفيقه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة، وقصة الغار معروفة، ومواقف أبي بكر مشهودة، كل

ذلك في سبيل المحافظة على حياة رفيقه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قال أبو بكر كما في الصحيحين: قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في الغار: **(لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأَبصَرنا، فيجيبه النبي بثقة واطمئنان: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)**، فنزل في حق أبي بكر قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وقد ذكر المفسرون أن المراد بالصاحب هنا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن مواقفه رضي الله عنه: إنفاق ماله في سبيل الله، وقد كان رأس مال أبي بكر عند إسلامه يبلغ أربعين ألف درهم، وهذا مال كبير بالنسبة لغيره من الأغنياء، فأنفقه كله في إرساء دعائم هذا الدين، ومن ذلك شراء كثير من العبيد والموالي الذين أسلموا وكانوا مستضعفين معذبين وإعتاقهم في سبيل الله، ومنهم بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد شهد رسول الله بهذا الإنفاق، ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(إن أمنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أخوةُ الإسلام)**.

أيها الناس! إن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن مجردَ صاحب لرسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم، ولم تكن علاقته به كعلاقته ببقية أصحابه، بل لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينتصر لأبي بكر، ونهى الناس عن معارضته، حتى إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن خالف أبا بكر رضي الله عنه يوماً: (**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فما أوذي بعدها**)، كما في صحيح البخاري، وفي هذا دلالة على مكانة الصديق الرفيعة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم عند أصحابه.

أيها المسلمون! إننا نتحدث في هذه الخطبة عن سيرة أبي بكر سيرة مجملة، وإن كان كل حدث من سيرته يحتاج إلى وقفات للتأمل، وأخذ العبرة والموعظة منه، ففي عبادته وزهده وورعه وتقواه وإيمانه الشيء الكثير الذي لا يتسع مقام مثل هذا لذكرها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل الإمام العادل قوامَ كلِّ مائل، وقَصدَ كل جائر، وصلاحَ كلِّ فاسد، وقوةَ كل ضعيف، ونِصفةَ كلِّ مظلوم، ومَفْزعَ كلِّ ملْهوف، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

عباد الله! لعلَّ الحسنَ البصريَّ رحمه الله قال الكلمات السابقة لما سمع من أخبار الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ونحن نقول: لقد كانت هذه الصفات منطبقة على الخلفاء الأربعة، فهم النبراسُ لمن أراد الخلافة الصحيحة، وكان على رأس هؤلاء خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكرنا في الخطبة الأولى بعض مواقفه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيا ترى ما هي مواقف هذا الصديق بعد وفاة صاحبه؟

والجواب ليس باليسير؛ فإن لأبي بكر الصديق مواقفَ جليلة ومشرِّفة، تدل على رسوخ يقينه وقوة إيمانه.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهِش فَخُولط، ومنهم من قعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعْتقِل لسانُهُ فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية،

كيف وهي قاصمة الظهر، ومصيبة العمر! فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فانذهل من شدة الفزع حتى قال: **(ما مات رسول الله، وإنما واعده ربه كما واعد موسى)**.

فسمع أبو بكر الصديق الخبر فأقبل ودخل المسجد، فلم يكلم الناس، فدخل بيت عائشة فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغشّى بثوب حبرة، وكشف عن وجهه ثم أكب عليه فبكى وقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي، ثم خرج أبو بكر إلى الناس وقال كلمته الشهيرة، التي تدل على الإيمان الذي لا يتصدع، ووقف وقفته الإيمانية الراسخة، قام رضي الله عنه وأرضاه خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه، فقال:

(أما بعد: فإنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]**، فنشج الناس يبكون)** رواه البخاري.

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم، خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم، ورجعوا إلى فهمهم الصحيح رجوعاً جميلاً.. هذا هو أول مواقفه رضي الله عنه التي تدل على قوة قلبه ورسوخ يقينه.

وتأتي هذه المواقف لتوضح متابعته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد موته، فها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجهز جيشاً، ثم يتوفاه الله عز وجل والجيش على بعد ثلاثة أميال من المدينة تقريباً، فاقترح بعض الصحابة أن يبقى الجيش في المدينة، واستأذن أسامة بأن يرجع بالجيش إلى المدينة خوفاً على أصل الإسلام من غدر المرتدين، ولكن انظر واسمع إلى جواب أبي بكر رضي الله عنه لموقف الصحابة من هذا الجيش، بعد أن أعطى فرصة لكل من يريد أن يأتي برأيه، وبعد أن استوضح منهم ما يريدون، أمر أن يفض الاجتماع، ثم دعاهم إلى اجتماع عام في المسجد، ثم وقف خطيباً في الصحابة قائلاً: (**والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطَّفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم).

أخي المسلم! انظر إلى هذا الحب والإيمان والصدق الذي لدى الصديق حتى في أحلك الظروف.

رضي الله عنك يا أبا بكر.. إنها المتابعة المطلقة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالث هذه المواقف علَّ بها يعتبر أقوام من المسلمين في تضييعهم الصلاة والزكاة، وعلّهم يتوبون إلى الله عز وجل، وهو ما صارت إليه أحوال بعض المسلمين بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ارتدت أكثر قبائل العرب،

واشرأَبَّتْ أعناق أهل النفاق، ولا يشك أحد أن أقوى وأخطر الأزمات في تلك الأيام هي ردة العرب، فلولا عناية الله لهذه الدولة الناشئة، ثم حكمة أبي بكر الصديق، والعزيمة الكبرى التي بلغت قمتها حين أعلن أنه سيقود الجيش بنفسه لمواجهة فلول الردة، وأعداء الإسلام الجدد الذين كانوا يتربصون بالمدينة، وقال قولته المشهورة: (**والله لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه**)، وقال: (**والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة**)، لولا ذلك لكان من الأمور ما لا يحمد عقباه، ولكن الحمد لله الذي أحبط كيدهم على يد هذا الخليفة رضي الله عنه وأرضاه.

فأرسل الجيوش المنظمة للقضاء عليهم، ولْنُورِد هنا إحدى رسائله التي كتبها إلى أحد عماله، وهو المهاجرُ بن أبي أميَّةَ، والتي تدل على منتهى الحزم والصرامة التي كان عليها أبو بكر رضي الله عنه، وقد جاء فيها: (**فإذا جاءك كتابي هذا فسر إليهن بخيلك ورجلك حتى تقطع أيديهن، فإن دفعك عنهن دافع فاعذر إليه باتخاذ الحجة عليه، وأعلمه عظيم ما دخل فيها من الإثم والعدوان، فإن رجع فاقبل منه، وإن أبى فنابذه على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين**).

تأمل يا عبد الله! صدق عزيمة أبي بكر رضي الله عنه في الذود عن الإسلام، وأنه لن يسامح من يفرط في حقوق هذا الدين سواء كان له أو عليه.

والمواقف كثيرة كما أسلفت، ونكتفي بهذه النماذج، ثم نعود فنقول: إن أبا بكر لم يكن مجرد صاحب، بل كان أعظم صاحب، ولم يكن مجرد خليفة؛ بل كان

أعظم الخلفاء، إنه الحارس الأمين لهذا الدين يوم أن ارتد من ارتد، وتخاذل من تخاذل، من أجل ذلك أثنى عليه الصحابة الأبرار وأهل البيت الأطهار.

ومن ذلك ما جاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر ثم قال: **(ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر)**، وقال علي رضي الله عنه: **(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر)**، وهو متواتر عنه، فقد خطب به علي رضي الله عنه على منبر الكوفة.

عباد الله! ونختم هذه الخطبة بمقال للإمام علي رضي الله عنه حين وفاة الصديق رضي الله عنهما، فعن أسيد بن صفوان رضي الله عنه قال: **(لما قبض أبو بكر ارتجَّت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء علي رضي الله عنه باكياً مسرعاً مسترجعاً وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر مسجى، فقال: رحمك الله يا أبا بكر! كنت إلفَ رسول الله وأنسَه وثقتَه، وموضع سره ومشاورته، كنتَ أولَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأخوفَهم لله، وأعظمَهم عناءً في دين الله، وأحسنَهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوالف، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هدياً وسمتاً ورحمةً وفضلاً وخلقاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله والمسلمين خيراً، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدَّقته حين كذَّبه**

الناس، فسماك الله في التنزيل صديقاً، فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٣]، **وواسيته حين بخلوا، وقمت عند المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدائد أحسن صحبة، وخَلفته في دين الله وأمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس... ثم قال بعدها وهي خطبة طويلة: رضينا بقضاء الله وسلمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين حرزاً، فألحقك الله بنبيه، وجمع بينك وبينه، ولا حرمنا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون).**

توفي رضي الله عنه يوم الإثنين ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاثَ عشرةَ للهجرة النبوية، وكان عمره ثلاثةً وستين عاماً، مثل عُمْرِ صاحبه صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير كما أمركم الله في كتابه، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وارض اللهم عن جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم إنا نحب نبيك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر رضي الله عنه وجميع صحابته العظام، وأهل بيته الكرام، فاللهم اجمعنا معهم في دار كرامتك يا

أرحم الراحمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم نور على أهل القبور من المسلمين قبورهم، واغفر لهم، ويسر للأحياء أمورهم.

عباد الله! اذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

-

(٤)

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مدبر الخلائِقِ أجمعين، باعثِ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى المكلفين، بالدلائل الواضحة وبينات البراهين.

أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١].

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ۝٢٣﴾ [الأحزاب:٢٣].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ**)[1].

أما بعد:

معـاشر المسـلمين! نقـف معكـم اليـوم أمـام علـم مـن الأعـلام، مـن أئمـة الصحب الكرام، خاف منه الشيطان، وارتعد لرؤيته الهُرْمُزَان، وانتهت بـه دولـة آلِ سَاسَان.

رجـل يعرفـه صـبيان مسـلمي الصـين واليابـان، وعجـائز مسـلمي أوروبـا والأمريكان، وعامة المسلمين في كل مكان.

إنه عمر الفاروق الخليفة الراشد، والإمام المجاهد، والخاشع العابد، والورع الزاهد رضي الله عنه، الذي قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى: (**إيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**)، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) صحيح الجامع (٢٥٤٩).

إنه الـذي دعـا الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ربـه أن يعـز الإسلام به، وهو الذي بشره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة وهو يمشي على الأرض!

إنه عمر ومن يجهل عمر؟!

جمع العظمة من أطرافها، فكان عظيم الفكر والخُلق والبيان، فإذا أحصيتَ عظماء الفقهاء والعلماء ألفيت عمر في الطليعة، فلو لم يكن له إلا فقهه لكان به عظيماً، وإن عددتَ الخطباء والبلغاء كان اسم عمر في أوائل الأسماء، وإن ذكرت عباقرة القواد العسكريين، أو كبار الإداريين الناجحين؛ وجدت عمر إماماً في كل جماعة، وعظيماً في كل طائفة، وإن استقريت العظماء الذين بنوا دولاً وتركوا في الأرض أثراً لم تكد تجد فيهم أجلّ من عمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر، وهو فوق ذلك عظيم في أخلاقه، عظيم في نفسه.

إنه عمر الذي قال له علي رضي الله عنه: «**لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين**)؛ لأنهم كانوا لا يطيقون أن يفعلوا مثل فعله.

إنه عمر الذي أذل كسرى الفرس، وهرقل الروم، حتى قال عنه رُسْتم قائد الفرس: «**قاتل الله عمر لقد أكل كبدي..**».

إنه عمر الذي كانت جيوشه تُذِيل معالم الروم والفرس وتدكها دكاً، بينما هو يسير في طرقات المدينة لابساً ثوباً فيه إحدى وعشرون رقعة!! وَيُبْطِئُ عن

المسلمين يوماً في صلاة الجمعة ثم يعتذر إليهم حين يصعد المنبر قائلاً: (**حبسني قميصي هذا، لم يكن لي قميص غيره!**).

خرج رضي الله عنه في سواد الليل فرآه طلحة رضي الله عنه، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، وإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: (**ثكلتك أمك يا طلحة! أعثرات عمر تَتَتَبَّع؟!**).

لله درك من إنسانٍ باهرٍ عظيم!

لا ينام إلا غباً، ولا يأكل إلا تقوتاً، ولا يلبس إلا خشناً، وكان عمر يقظان دائماً، كان ينعس وهو قاعد، فقيل له: يا أمير المؤمنين! ألا ترقد؟ فقال: (**إن نمت بالنهار ضيعت مصالح الرعية، وإن نمت بالليل ضيعت حظي مع الله**).

خرج يوماً إلى السوق فرأى إبلاً سماناً، فقال: إبل من هذه؟ قالوا: إبل عبد الله بن عمر، قال: عبد الله بن عمر!! بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، وأرسل في طلبه، فلما أتاه قال له: ما هذه الإبل يا عبد الله؟ فقال عبد الله: إنها إبل أَنضَاءُ اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى الحِمَى أتاجر فيها، وأبتغي ما يبتغي المسلمون، فقال عمر: ويقول الناس حين يرونها: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك، ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين. ثم

صاح به: يا عبد الله! خذ رأس مالك واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

ويقول لأقاربه: (**إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب، لمكانه مني، فمن شاء منكم فليتقدم، ومن شاء فليتأخر**).

رضي الله عنك يا عمر، تحمِّل أهلك كل مغارم الحكم، وتحرمهم من كل مغانمه.

أيها المؤمنون! انظروا إلى مسئولية عمر رضي الله عنه تجاه مال المسلمين، وزهده في الدنيا.

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: (**صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج، ثم رجعنا، فما ضُرب له فِسطاطٌ ولا خِباء، ولا كان له بناء يستظل به، إنما يُلقِي كساءً على شجرة فيستظل تحته**).

وقال رضي الله عنه لبشار بن نمير: (**كم أنفقنا في حجتنا هذه؟ فقال بشار: خمسة عشر ديناراً، فقال: لقد أسرفنا في هذا المال**)، لله دره! يذوق وَقْدَة الحر، وقَيظَ الرمال المستعرة، وينفق خلال رحلته كلها خمسة عشر ديناراً، ثم يقول: لقد أسرفنا، وتحت عتبة خزائنه وضعت أموال كسرى وقيصر!!

وذات يوم عدا وهرول وراء بعيرٍ أفلت، فلقيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: (**إلى أين يا أمير المؤمنين؟ فقال: بعير نَدَّ من إبل الصدقة أطلبُه، فقال علي: لقد أتعبت الخلفاء بعدك**). ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣].

وكما كان الفاروق عمر يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً عظيماً، حتى إنه ليحبه أكثر من نفسه كما جاء في الصحاح، فقد سرى هذا الحب وذلك الاحترام إلى آل بيته صلى الله عليه وآله وسلم الكرام، فلقد كان عمر رضي الله عنه يتفقد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويُجْزِل لهن العطاء، وكان لا يأكل طَرِيفَةً ولا فاكهة إلا جعل منها لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر من يبعث إليهن حفصة، فإن كان نقصان كان في حقها.

كما كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لعلي رضي الله عنه وأولاده، مؤثراً لهم على أولاده، فعن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح عليه، جمع ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك. فقال: لا والله، بالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بني هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفرض للعباس، ثم لعلي حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب من شهد بدراً من بني هاشم، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد

شـمس، ثـم الأقـرب فـالأقرب، ففـرض الأُعْطِيـات لهـم، وفـرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يكن عمر رضي الله عنه يَبُتُّ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير علياً رضي الله عنه، والذي كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص، ولما سافر إلى بيت المقدس استخلفه في جميع شئون الخلافة على المدينة، وقد تمثل مدى الانسجام والتضامن بينهما حينما زوجه علي رضي الله عنه من السيدة أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنها، وسمى علي رضي الله عنه أحد أولاده باسمه، وآخر باسم أبي بكر، وثالثاً باسم عثمان.

ولا يسمي الإنسان أبناءه إلا بأحب الأسماء، وبمن يرى فيهم القدوة المثالية، ولقد استشار الفاروق عمر الإمام علياً رضي الله عنهما حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فُتِحَتِ المدائنُ، وعندما أراد عمر التوجه إلى نَهاوَنْد، وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري.. وغير ذلك من الأمور.

وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنهما قال: قلتُ لأبي -علي بن أبي طالب رضي الله عنه -: (**أي الناس خير بعد النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر)،** حديث صحيح رواه البخاري وأبو داود.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بينا عمر رضوان الله عليه يَعِسُّ بالمدينة، إذ مر بِرَحَبةٍ من رِحَابِها، فإذا هو ببيت من شَعْرٍ لم يكن بالأمس، فدنا

منه، فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه فسلّم عليه، ثم قال: من الرجل؟ قال: من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله، فقال: وما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ فقال: انطلق رحمك الله لحاجتك، قال: عليّ ذلك ما هو؟ قال: امرأة تَمَخَّضُ، قال: هل عندها أحد؟ قال: لا. قال: فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: ما هو؟ قال: امرأة غريبة تَمَخَّض، ليس عندها أحد، قالت: نعم إن شئتَ، قال: فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخِرَقِ والدُّهْنِ، وجيئيني بَبُرْمَةٍ وشَحْمٍ وحُبُوب. قال: فجاءت به فقال لها: ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له: أوقد لي ناراً. فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين! بشر صاحبك بغلام، فلما سمع: (يا أمير المؤمنين) هابه، فجعل يتنحى عنه، فقال له: مكانك كما أنت، فحمل البرمة فوضعها على الباب، ثم قال: أشبعيها، ففعلت، ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر رضي الله عنه فأخذها فوضعها بين يدي الرجل فقال: كُلْ ويحك! فإنك قد سهرت الليل، ففعل، ثم قال لامرأته: اخرجي. وقال للرجل: إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك. ففعل الرجل، فأجازه وأعطاه).

هذا هو عمر.. منارة الله في الدنيا، وهديته إلى الحياة.. على مائدة سيرته أطايب العظمة..

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعـد:

فمهما قيل في مناقب عمر، وأَثَرِ هذه المناقب على سيرة الدعوة الإسلامية، فإن أي مسلم لا يمكن أن يرقى إلى ما درجت عليه وما تسامت به من فضائل ومناقب، فهل ما نسطره أسطورة؟! بل لو كانت أسطورة لصعب تصديقها، ولكن عمر لم يكن أسطورة؛ بل كان حقيقة ملأت الزمان والمكان، وكان هدى من الله، وكان للمتقين إماماً.

وقد كان عمر رضي الله عنه سداً منيعاً، وحصناً حصيناً أمام الفتن، قال حذيفة رضي الله عنه: (**كنا عند ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفتنة... وفيه: قال حذيفة: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قلت: لا، بل يكسر، قال: ذاك أحرى ألَّا يغلق أبداً حتى قيام الساعة. قال أبو وائل: وهل كان عمر يعلم من الباب؟ قال حذيفة: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ**

الليلة! إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، قال أبو وائل: فهبنا أن نسأل حذيفة مَن الباب، فقلنا لمسروق: سل حذيفة من الباب؟ فقال مسروق لحذيفة: من الباب؟ قال حذيفة: هو عمر!!)، رواه البخاري في صحيحه.

ولما تقادم به العهد، وبعد أن حج آخر حجة له سنة (٢٣هـ)، ولما نفر من مِنَى، أَناخَ بالأَبْطَحِ، فكوَّمَ كَوْمَةً من بطحاء، فألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء وقال: (**اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط**)، ثم قدم المدينة.

ولما قتل الفاروق عمر رضي الله عنه كان هول الفاجعة عظيماً على المسلمين، يقول ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عن ابن عباس وعن سائر آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**إنه ما مر بملأ إلا وهم يبكون، وكأنهم فقدوا أبكار أولادهم**).

حتى كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما يُذكَرُ له عمر يبكي حتى تبتل الحصى من دموعه، ثم يقول: (**إن عمر كان حصناً للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات انثلم الحصن، فالناس يخرجون من الإسلام**).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (**وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا**

علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلَّفْتُ أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وَأَيمُ الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)، رواه البخاري.

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**كنت جاراً لعمر بن الخطاب، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر، إن ليله صلاة، ونهاره صيام، وفي حاجات الناس**).

وسئل علي بن الحسين عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومنزلتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: (**كمنزلتهما اليوم وهما ضجيعان**).

فسلام الله عليك يا أبا حفص يوم ولدتَّ، ويوم متَّ، ويوم تبعث إن شاء الله حياً.

أيها المؤمنون! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللهم فصلِّ وسلِّم وزد وبارك وتحنَّن وترحَّم على إمام الحنفاء، وسيد الأنبياء، وقدوة الأتقياء، وأصفى الأصفياء، محمد المصطفى وآله وصحبه بدور الدجى.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر أولياءك الموحدين.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(٥)

ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أحمده سبحانه على ما أنعم من النعم الباطنة والظاهرة، والآلاء الجسيمة الباهرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

أما بعــد:

أيها المسلمون! هذه الخطبة في سيرة ثالث الخلفاء الراشدين، وقبل البدء أقول: إن سيرة عثمان رضي الله عنه حرية بالبحث المحَّصِ الهادئ؛ ليُكشَفَ ما سترته الأقاصيص العابثة من فضائل، وما شوهته الروايات المدسوسة من محاسن.

أيها المسلمون! نقف وإياكم اليوم -إن شاء الله- مع أمير البررة، وقتيل الفجرة، العظيم الذي حمل مسئوليته في عزم مجيد ورشيد، وحين لم يجد ما يحمي به مسئولياته سوى حياته، جاد بها في سماح منقطع النظير، إنه مهاجر الهجرتين، وأول المهاجرين.

إنه عثمان بن عفان ذو النورين أمير المؤمنين، المعطاء السخي الجواد، والمموّل الكريم للأمة الجديدة، والدين الجديد.. فسلوا جيش العُسْرَة، وسلوا بئر رَوْمَة، واسمعوا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بعد ذلك: **(ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم)**[1] مرتين..

(١) صحيح الترمذي للألباني رقم: (٢٩٠٢).

قال ابن شهاب: «قدَّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف». إنه عثمان المهاجر من ماله وجاهه.. إنه البذْل السخي والعطاء المدرار.

إنه الزاهد الأواب الرحيم، قال شُرَحْبيلُ بن حَسَنة عنه: **(كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت)**، وقال عبد الله بن شداد: **(رأيت عثمان يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم، وإنه يومئذٍ لأمير المؤمنين، وهو أكثر قومه مالاً وثراءً ونعمة في الجاهلية والإسلام)**.

إنه عثمان البكَّاء الذي قرأ القرآن كله في ركعة وذلك كل ليلة.. إنه الذي نزل فيه قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، عبادة صافية، ومثابرة وافية، امتلأت بها حياة عثمان منذ عرف الله إلى أن لقيه مظلوماً شهيداً.

قيل عنه: كان يصوم الدهر إلا ما نُهي عنه، ويقوم الليل إلا هَجْعَة في أوله.

إنه عثمان الرحيم الذي تَشيعُ الرحمة في حياته، وتكون نبراساً لكل تصرفاته العادية، والتي تتوقف عليها أمر الحياة والموت.. كانت الرحمة نبراس تلك التصرفات جميعها.

عثمان بن عفان الخليفة الطاعن في السن الذي يرفض أن يُوْقِظَ أحداً من خدمه كي يُعدَّ له وضوءه، ويتمايل على شيخوخته لإحضار الماء وإسباغ

الوضوء، ولما اشتد حصار أهل الفتنة لداره، قال للصحابة الذين تجمعوا حول داره ليواجهوا أهل الفتنة بالسلاح: (**إن أعظمكم عني غَنَاءً رجلٌ كف يده وسلاحه**)، ويقول لأبي هريرة رضي الله عنه وقد جاء شاهراً سلاحه مدافعاً عنه: (أما إنك والله لو قتلت رجلاً واحداً لكأنما قتلت الناس جميعاً).

ويقول للحسن والحسين، وابن عمر، وابن الزبير، وشباب الصحابة رضي الله عنهم الذين أخذوا مكانهم لحراسته: (**أناشدكم الله وأسألكم به ألا تراق بسببي مِـحْجَمَةُ دمٍ**).

قال ابن عمر: (جاء علي إلى عثمان يوم الدار وقد أغلق الباب، ومعه الحسن بن علي وعليه سلاحه، فقال للحسن: ادخل إلى أمير المؤمنين وأقرئه السلام، وقل له: إنما جئت لنصرتك فمرني بأمرك، فدخل الحسن ثم خرج، فقال لأبيه: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: لا حاجة لي في قتالٍ وإهراق الدماء، قال: فنزع علي عمامة سوداء فرمى بها بين يدي الباب وجعل ينادي: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف]).

لله درك يا عثمان!! رحمة جامعة تغطي جلائل الأحداث، فللخادم منها حظه وحقه في أن ينعم براحة النوم، وإن أضنى الخليفة نفسه وشيخوخته في ظلمة الليل البهيم.. ولقطرات الدم حظها وحقها في أن تنعم بالسلامة والعافية، وإن كان بديل ذلك أن تزهق روح الخليفة الشيخ بيد معتد أثيم، وغادر زَنَيم.

لقد توغلت الرحمة في حياته وفي سلوكه حتى اقتضته آخر الأمر حياته نفسها فجاد بها.

عباد الله! مع هذه الرحمة الكبيرة بالمؤمنين من عثمان؛ فقد كان مجاهداً وفدائياً من الطِرَازِ الأول، ولقد كان رضي الله عنه آية من آيات البطولة التي أبرزها موقفه الرائع مع النَّفَرِ القليل الذين ثبتوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين، فساعة انهزم المسلمون في تلك المعركة وفروا من الميدان مسرعين، لم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا نفر قليل كان عثمان أحدهم، فرضي الله عنك يا عثمان في كل موقف وقفته في سبيل الله، من أجل أن ترتفع راية التوحيد في دنيا الخافقين.

ولقد عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان أياديه البيضاء في سبيل الله، فاختاره ليكون كاتب وحيه وكاتم سره، وتلك شهادة كبرى بأمانته وعفته وصدقه ووفائه.

واختاره صلى الله عليه وآله وسلم ليكون أول سفير في الإسلام بين دولة الإسلام وزعماء الكفر من قريش، وبهذه السفارة برزت مكانة عثمان في قريش، وظهر مركزه الرفيع بين رجالات الإسلام، ورتبته السامية بين مراتب الصحابة، ولما احتبسته قريشٌ أُشِيْعَ أنه قتل، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد الغضب، ونادى من كان معه من أصحابه -وهم ألف وخمسمائة- ليبايعوه على

الموت، ويعاهدوه على قتال قريش انتقاماً لعثمان، وبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عثمان رضي الله عنه بإحدى يديه، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من يد عثمان لنفسه، وقد خلد الله هذا الموقف الكريم في كتابه العظيم في قوله: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨]، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هؤلاء المزكين من أصحابه: **(لا يدخل النار رجل بايع تحت الشجرة)**، هكذا رواه الإمام مسلم في صحيحه.

ولقد بلغ من حيائه رضي الله عنه ما ذكره عنه الحسن البصري بقوله: **(إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه)**.

زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنته رقية رضي الله عنها، فلما ماتت زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنته الثانية أمَّ كلثوم، فلذلك لقب عثمان رضي الله عنه بذي النورين، وبشره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة، وأخبر أن الملائكة تستحي منه، كما روى ذلك الإمام مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هذه هي مكانة عثمان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته له، ولا

تَقِلُّ هذه المكانة والمحبة عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان الجميع يُكِنُّون له كل تقدير واحترام، وكذا علموا أن محبتهم لعثمان من محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن حبه إيمان وبغضه نفاق، فعن مُطَرِّف قال: (**لقيت علياً رضي الله عنه فقال لي: يا أبا عبد الله! ما بَطَّأ بك عنا؟ – وقد أطال الجلوس عند عثمان– قلت: أحب عثمان، قال علي: أما لئن قلت ذاك! لقد كان عثمان أوصلنا للرحم، وأتقانا للرب تعالى**).

وأما عن سخاء عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإن كانت السفن لتجري في جود عثمان.. سخاءً لا يجد له الإنسان نظيراً، وعطاءً لا تكاد تجد له مثالاً.. جاءت رواحل عثمان ذي النورين من اليمن محملةً بالخيرات، فانْقَضَّ عليها التجار من أهل المدينة ومن حولها يساومونه ويتضاربون، كل منهم يتمنى أن يكون هو الذي سيظفر بالصفقة الرابحة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (**قحَطَ الناس في زمان أبي بكر، فقال الخليفة لهم: إن شاء الله لا تمسون غداً حتى يأتيكم فرج الله، فلما كان صباح الغد، قدمت قافلة لعثمان، فغدا عليه التجار، فخرج إليهم وعليه مَلاَءةٌ قد خالف بين طرفيها على عاتقه.. وسألوه أن يبيعهم قافلته، فسألهم: كم تربحونني؟ قالوا: العشرة اثني عشر، قال قد زادني، قالوا: فالعشرة خمسة عشر، قال: قد زادني، قالوا: من الذي زادك؟ قال: إنه الله، زادني بكل درهم عشراً، فهل لديكم أنتم مزيد؟ فانصرف التجار عنه وهو ينادي: اللهم**

إني وهبتها لفقراء المدينة بلا ثمنٍ ولا حساب).

هذه قطرة من بحر جوده رضي الله عنه، والذي يزعم أنه كتب في جود عثمان وسخائه ما يكفي فقد أعظم الفِرْيةَ على عثمان، فإنه كان بحراً ليس له ساحل، رضي لله عنه وأرضاه وبلغه في الجنة مناه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.. وبعد:

فقد كان عثمان رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة، ويوم بشره بها قرن هذا التبشير بخبر ما سيصيبه من الفتن والبلاء، فقد جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في حديث تبشير الخلفاء بالجنة، فقال فيما يخص عثمان: (**فقمت ففتحت الباب، فإذا أنا بعثمان، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم -يوم بشره بالجنة على بلوى تصيبه- فقال عثمان رضي الله عنه: الله المستعان على بلائه وعليه التكلان**)، وأصله في الصحيحين، وكان هذا الحديث معجزةً من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكبرى، حيث عصفت بعثمان رياح الفتن التي أثارها حزب الشيطان ضده، وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي، والغوغاء في الأمصار ومن تأثر بهم باسم الإسلام، والتي انتهت باستشهاد أكرم إنسان على وجه الأرض حيٍّ آنذاك.

إن حكم عثمان الطويل الذي دام اثنتي عشرةَ سنةً إلا اثنتي عشرة ليلة،

والذي تُوِّجَ بأشرف الأعمال وأجلها؛ أغاظ أعداء الإسلام فَحنَقُوا عليه، فهو الذي أنهى حكم الأكاسرة والقياصرة في البر والبحر، حتى امتدت فتوحاته إلى بخارى وسمرقَنْد شرقاً، وإلى قبرصَ وشمالِ أفريقيا غرباً، وهو الذي جمع المصحف الشريف، وجمع المسلمين في جميع الأقطار عليه، واتفقت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على موافقته دون أن يعترض واحد منهم.

ولكن عثمان هذا وبكل طَيِّبَاته وتضحياته، تتجمع من حوله الفتنة التي كان من ورائها أشرار الأرض، وأجرت دمه الطاهر يسطر المأساة على كتاب الله وهو يتلوه، فوقفت نَضْحَةٌ من دمه الطاهر على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٧]، وكان يومئذٍ صائماً بعد حصار طويل صمد فيه عثمان المحتسب الصابر، بإيمان صادق، وقد أوكل أمره لحكم الله وقضائه.

ولقد أريد من الخليفة أن يستعمل من حوله حُرَّاساً يحمونه، أو أن يأخذ على أيدي محاصريه بشدة، بل جاء جمع من شباب الصحابة لحراسته؛ كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وغيرهم رضي الله عنهم، وكان المحاصِرون يطلبون تنحيته، ولكن الخليفة الذي ما زال صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرنُّ في سمعه بالوصية التي أوصاه بها: (**يا عثمان! إن الله مُقَمِّصُكَ قميصاً - يعني: الخلافة- فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**)[1]. هذا الخليفة العظيم يرفض التنحِّي، ويرفض الحراسة والانتصار له، ومقاتلة أعدائه،

(١) صحيح الجامع (٧٩٤٧).

حيث هبَّ الصحابة جميعهم للدفاع عنه ومنع المجرمين من تنفيذ جريمتهم النكراء.

نعم.. لقد منع عثمان رضي الله عنه الصحابة من أن يشهروا سيوفهم بوجه الغوغاء المغرر بهم؛ لأنه يخشى أن يقتتل الناس، وتراق دماؤهم وتسفك من أجله، وقال قولته المشهورة: (**والله لن أكون أول من يخلف رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **في أمته بسفك الدماء**).

بل لقد رفض رضي الله عنه أن يأخذ بشدة على أيدي هؤلاء العابثين بأمن المسلمين وخلافتهم قائلاً: (**تنحَّوا عني! فوالله ما أحب أن ألقى الله وفي عنقي قطرة دم لامرئ مسلم**)، وانْفَضَّ بعض الصحابة المدافعين من حوله استجابةً لأمر الخليفة، وأبى بعضهم مثل الحسن والحسين إلا البقاء للدفاع عنه، وكتبت لعثمان رضي الله عنه الشهادة ليلحق بحبيبه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

وصدق الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه حين قال للغوغاء عند خروجهم على عثمان: (**لا أيها الناس! إن سيف الله لم يزل مغمداً عنكم، وإنكم والله إن قتلتموه لَيَسُلَّنه الله ثم لا يغمد أبداً إلى يوم القيامة**)، وهكذا توالت الفتن بعد مقتل الإمام المظلوم عثمان ذي النورين، وكلما نسي المسلمون اللهَ أنساهم أنفسهم، وابتلاهم بفتن لا يخمد نارها حتى يعودوا إلى ربهم، ويتمسكوا بسنة نبيهم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ويعضوا عليها بالنواجذ،

ففي ذلك نجاتهم وخلاصهم من عذاب الله وانتقامه.

هذا هو عثمان، وهذه مواقفه! ويا حبذا لو فَقِه المسلمون سيرته ودرسوا مناقبه، وأشاعوا ذكره في تسمية مواليدهم الجدد باسمه، فاسم عثمان كان محبباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته البررة الأكارم، حتى إن الإمام علياً رضي الله عنه قد سمى ولدين من أولاده باسم عثمان -عثمان الأكبر وعثمان الأصغر- كما ذكر ذلك اليعقوبي في تاريخه؛ تيمناً باسم عثمان، فسلام على عثمان في الأولين والآخرين.

ولعلنا نخرج بعد سماع هذه السيرة العطرة للخليفة العظيم عثمان بن عفان ببعض الدروس والعبر، والتي من أهمها:

أولاً: ما كان عليه رضي الله عنه من الحياء والعفة والود والرحمة، مما جعله من أكمل المؤمنين أخلاقاً.

ثانياً: الحلم العظيم والصبر الجميل الذي تحلَّى به الخليفة، مما جعله يؤثر الموت لنفسه حرصاً على عدم إشعال الفتنة وسفك الدماء بين المسلمين رضي الله عنه ورحمه.

عباد الله! صلوا وسلموا على النبي الزكي التقي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة أبدية سرمدية.

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.



(٦)

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي رفع هذه الأمة على سائر الأمم مكاناً علياً، وجعل من أبطالها الفاروق والمقداد وخالداً وعلياً؛ فهو الشجاع البطلُ المقدام، العابد الزاهد الصوَّامُ القوَّام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما بعـد:

فإن في أمة الإسلام رجالاً وأبطالاً لا نعرف من سيرتهم وأخبارهم إلا القليل، وسبب ذلك هو بُعدنا عن مصادرنا، وعن تاريخنا المجيد، وفي هذه الخطبة نتحدث عن رجل وُصِفَ بمعالي المحاسن والأخلاق.. رجلٌ مثل الإسلام في أبهى صوره وأرقى مُثُلِه، فكان العالم العامل العابد الفاضل المجاهد، المستبسل الذي لفت انتباه العالم بأسره.

إنه أبو تراب.. أبو الحسن.. أبو سيدي شباب أهل الجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، وابن عم خاتم الأنبياء والمرسلين، وزوج ابنة سيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم، وحب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحامل رايته، ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وحبيب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحليف القرآن والسنة.

إنه أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه.

إن حياة أبي السبطين تتفجر عظمة وإجلالاً وإعجازاً، وعلو همته تَنْدَاحُ

رحاباً ليس لها أبعاد، تتلألأ عليها بطولات وتضحيات عظائم، وأمجاد تكاد تحسبها لولا صدق التاريخ أحلاماً وأساطير.

يقول ضِرارُ بن حمزةَ الكنانيُّ في وصف علي رضي الله عنه: (**كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان غزيرَ الدمعة، طويلَ الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس الخشِن، ومن الطعام الجشِب[1]، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدولَه، وغارت نجومُه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململَ السليم، ويبكي بكاءَ الحزين، فكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا! إليّ تعرضتِ أم إليَّ تشوفتِ؟ هيهاتَ هيهات!! غُرِّي غيري، قد أَبنْتُكِ ثلاثاً لا رجعة بعدها، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آهٍ من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق**).

أما مناقبه رضي الله عنه فهي كما قال القائل:

مَناقبٌ كَنُجومِ اللَّيلِ ظَاهِرةٌ قَدْ زانَها الدِّينُ والأَخْلاقُ والشِّيَمُ

فهو الذي نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الهجرة، وهو الذي أدَّى الأمانات عنه، وهو ممن حمى رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) هو الغليظ والخشن من الطعام، وقيل: غير المأدوم من الطعام.

وسلم.. رضي الله عن أبي تراب.

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا غزوة تبوك، فقد تخلف عنها بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى إليه بعض الغلمان فأوغروا في صدره وقالوا له: خلفك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النساء والصبيان، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له كما أخرج ذلك البخاري ومسلم في صحيحيهما وهما أصح الكتب بعد كتاب الله: **(يا رسول الله! أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي)**.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين، وأول خليفة من بني هاشم.

أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: **(لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يَدُوكُون ليلتهم أيُّهم يُعْطَاها، فلما أصبحَ الناسُ غَدَوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يُعْطَاهَا، فقال: أين ابن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عَينيه، فدعا له فَبَرِئَ حتى كأن لم يكن به وَجَع، فأعطاه الراية)**.

وأخرج الترمذي عن أبي سريحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**[1].

ومعنى الولاية: المحبة والنصرة، فمن كان محباً مناصراً للنبي عليه الصلاة والسلام فليكن محباً مناصراً لعلي رضي الله عنه.

وروى مسلم في صحيحه أن علياً رضي الله عنه قال: (والذي فلقَ الحبةَ وبرأَ النسْمةَ، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إليَّ: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق)، فليحذر المسلم من بغض علي رضي الله عنه؛ فإن من أبغض علياً رضي الله عنه لما فيه من الخير، ولما له من الفضائل والنصرة والمكانة في الإسلام؛ فإنه منافق بحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه درر من فضائل علي رضي الله عنه وأرضاه، ولا يسعفنا الوقت لسردها كلها.

أما سيرة علي رضي الله عنه فهي من أحلى وأجمل السير.

هذا الثَّناءُ الَّذي ما صَاغَه كَلِمٌ وهَا هُـو المجْدُ عندَ البابِ يزدحمُ

كان رضي الله عنه يخرج كل ما كان في بيت المال لمستحقه، حتى إذا فرغ بيت المال يأمر الإمام أن تُنْضَح أرضه ويغسل بالماء، حتى إذا تم ذلك قام فصلى فوق أرضه المغسولة ركعتين، ولهذا الصنيع معنى جليل، إنه يشير بعهد جديد تسيطر

(١) صحيح الجامع (٦٥٢٣).

فيه الآخرة على الدنيا.

لقد دُعي رضي الله عنه لينزل قصر الإمارة فولى مدبراً وهو يقول: (**قصر الخبال هذا لا أسكنه أبداً**).

وكان يرتدي جِلبَاباً اشتراه من السوق بثلاثة دراهم، ويركب الحمار ويقول: (**دعوني أُهِنِ الدنيا**).

ومن عظيم زهده في الدنيا حتى فيما هو حلالٌ له: ما روى أبو القاسم البَغَوِيُّ بسنده أن علياً اشترى بدرهم فحمله في مِلْحَفِه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! أَحمِلُهُ عنك؟ فقال: (**أبو العيال أحق أن يَحمِلَه**)، وأُتي إليه بِفَالُوْذَج فقال: (**إنك لطيب، ولونك طيب، ولكن أكره أن أُعوِّدَ نفسي ما لم تعتده**).

وخطب رضي الله عنه الناس فقال: (**أيها الناس! والله الذي لا إله إلا هو ما رُزِيْتُ من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه، وأخرج قارورة من كُمِّ قميصِه فيها طِيْبٌ، فقال: أهداها إلي الدُّهقان، ثم أتى بيت المال فقال: خذوا، وأنشد يقول:**

أَفلحَ مَنْ كانتْ لَه قَوْصَرَهْ يَأْكُلُ منها كُلَّ يَومٍ تَمَرَهْ)

ولله دَرُّه يقول: (**أأقنع من نفسي أن يقال لي: أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان، والله لو شئت لكان لي من صفو هذا الغيل، ولباب البر، وناعم هذه الثياب، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى**).

قال الإمام أحمد: «**إن علياً ما زانته الخلافة، ولكن هو زانها**».

وَلَـمْ يَرَ إِلَّا الكَدَّ راحَـةَ نَفْسِـهِ ونيلُ الـمُنى يُـنْسِي الفتى تَعَبَ الكدِّ

إذا لَاحظَ الغاياتِ عادتْ فَريسةً مُقَيَّدةً منْ ناظرِ الأَسَدِ الوردِ

قال سفيان الثوري: ما بنى علي لبنة ولا قصبة على لبنة، وإن كان ليُؤتى بِحُبُوبِه من المدينة في جراب.

وقال عنه عمر بن عبد العزيز: إن علياً كان أَزْهَد الناس في الدنيا.

وهذه حادثة لعل بها تتغير نفوس أناس تعلقت قلوبهم بالدنيا، روى هارونُ ابن عَنَزَةَ عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخَوَرْنَقِ -موقع في الكوفة- وهو يَرْعُدُ تحت سِمْلٍ قَطِيفَة، فقلت: (**يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي**).

فما الذي حمل أمير المؤمنين على أن يعيش عيشة الفقراء، وأن يتحمل البرد القارس، وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس، وأكثرها دفئاً؟ إنه الزهد، هذا هو المثال الحقيقي للزهد، حيث يرغب عن متاع الحياة الدنيا مع القدرة التامة على تحصيله.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

أقــول قــولي هــذا، وأســتغفر الله لي ولكــم ولســائر المســلمين والمسلمات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المتفرد بكل كمال، المتفضل على من يشاء بخصائص التكريم والإفضال، مَنَحَ من شاء من عباده ما لم ينله الجَمُّ الغَفِيْرُ، كما خص أمير المؤمنين علياً من ذلك بالشيء الكثير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الكبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنعم البشير ونعم النذير.

أما بعد:

فلقد كان عليٌّ رضي الله عنه الخليفة العادل، يمشي في الأسواق ومعه درَّةٌ له، يأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: (**أوفوا الكيل والميزان**)، ويقول: (**لا تنفحوا اللحم**).

ومن عدله رضي الله عنه ما أخرجه الطبري من خبر ناجية القرشي عن أبيه قال: (**كنا قياماً على باب القصر، إذ خرج علينا علي، فلما رأيناه تَنَحَّيْنَا عن وجهه هيبةً له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثاً بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فَلَكَزَ صدر هذا وصدر هذا ثم قال لهما: تَنَحَّيَا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين! إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطْتُ عليه أن لا يعطيني مغموراً ولا مخدَّقاً -يعني: الدراهم المعيبة- فأعطاني درهماً مغموراً، فرددته عليه فلطمني،**

فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين! قال: فأعطه شرطه، ثم قال للَّاطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفوٌ يا أمير المؤمنين؟! قال: ذلك إليك، فعفا عنه، ثم قال أمير المؤمنين: خذوه، فأخذوه فَحُمِل على ظهر رجل كما يَحملُ الصبيانُ الكتاب، ثم ضربه أمير المؤمنين خمس عشرة درَّة، ثم قال: هذا نكالٌ لما انتهكت من الحُرَمْ).

أمير المؤمنين يتفقد أحوال رعيته بنفسه، ويقوم بحل المشكلات.. انظر إلى هذا التلاحم بين الأمير والمأمور!

فهذا مثل من أمثلة العدل، وشاهد من شواهد التاريخ على نقاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واسمع إلى علي رضي الله عنه وأرضاه وهو يصف حال أصحاب رسول الله، قال رضي الله عنه وأرضاه: «**لقد رأيت أصحاب محمد** صلى الله عليه وآله وسلم، **فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعْزَى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يُرَاوِحُون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مَادوا كما تَميد الشجر في يوم الريح، وهَملت أعينهم حتى تَبلَّ ثيابهم، والله لكأن القومَ باتوا غافلين).**

أخي المسلم! ما يصف رجل قوماً بهذا الوصف إلا وهو يحن إليهم ويحبهم ويودهم، فرضي الله عن علي وعن أصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها المؤمنون! إن علياً رضي الله عنه كان الناصح الأمين لهذه الأمة، ولطالما كان يوصي أصحابه، فتخرج من فمه جواهر الحكم، وتتلألأ بين ثناياه درر الوصايا، ومن هذه الحكم والوصايا الشهيرة ما رواه الحافظ أبو نُعَيْمٍ، وهي وصية من إمام صادق ومن رجل خبر الحياة خبرة طويلة.

فعن كُمَيلِ بن زياد قال: (**أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجبان -يعني: الصحراء- فلما أصحرنا جلس ثم تنفس، ثم قال: يا كُمَيل بن زياد! القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربَّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رِعَاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله، ومحبة العلم دين يُدَانُ بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأُحْدُوثَة بعد مماته. مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة... ثم قال رضي الله عنه: أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله الحجة حتى يؤدونها إلى نظرائهم، ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما اسْتَوعَرَ المترفون، وأنسوا بما استوحشَ منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان**

أرواحها معلقة في المحل الأعلى، آه.. آه.. شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك).

أيها الناس! إن هذه الكلمات لا تخرج إلا من رجل مُلئ قلبه إيماناً، فهل منا من يعيها ويعقلها؟!

هل منا من يجاهد نفسه على الاقتداء بأمثال هؤلاء؟!

إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا علموا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سارعوا إلى تطبيقه في واقعهم، ولم تكن شعارات وعبارات مجردةً عن الواقع، إن من أراد أن ينصر هذا الدين عليه أولاً: أن يصدق مع نفسه ماذا يريد، ثم ثانياً: أن يغرس في أبنائه وأقربائه حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاقتداء بهم، وثالثاً: أخي المسلم! لا تبخل عن نصرة دينك ولو بالشيء القليل، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن إماطة الأذى من شعب الإيمان، كما في صحيح البخاري فانظر إلى هذا تجد أنك تؤجر في كل عمل أخلصت فيه لله.

وهذه الكلمات لهذا الرجل الذي لم نعرِّفه المعرفة التي يستحقها، قال رضي الله عنه: (**القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته العداوة وإن قرب نسبه، ولا شيء أقرب من يد إلى جسد، وإن اليد إذا فسدت قطعت**). وقال رضي الله عنه: (**إن أخوف ما أخاف اتِّبَاع الهوى، وطول الأمل.. فأما اتباع الهوى**

فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرةً، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بَنونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل) رضي الله عنك يا أبا الحسن! ورضي الله عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قُتل رضي الله عنه وهو يصلي في المسجد، قتل بطعنة المجرم عبد الرحمن بن ملجم وذلك سنة أربعين يوم الجمعة، ومات ليلة الأحد، وغسله ابناه وعبد الله ابن جعفر، وصلى عليه الحسن بن علي، واختلف في عمره، فقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: سبع وستون سنة.

مات الخليفة العادل، ولكن سيرته لم تمت.. مات أمير المؤمنين، ولكن عدله وزهده وورعه ما زال نبراساً لكل من يريد أن يحيا حياة الأبطال.. حياة المجاهدين.. حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، لقد كان في قصصهم عبرة، وما كان حديث يفترى، ولكنه صدق سيرتهم، فإلى أصحاب الهمم العالية: من منا يربي نفسه، فإن لم يستطع فأبناءه على هذه القيم والمُثُل التي نتمناها في أحلامنا، إن هذه السيرة ليست أسطورة، بل هي حياة عاشها العظماء.

عباد الله! صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه، قال ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ

وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللهم فصلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إنا نسألك أن تُبَلِّغَنَا ما بلغه أصحاب نبيك صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(٧)

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، أنزل الكتاب المبين، هدىً وذكرى للمؤمنين، وأرسل الرسل الكرام ليبينوا للناس الصراط المستقيم، فمن تبعهم نجا وفاز بجنة النعيم، ومن خالفهم وسلك غير طريقتهم كان مآله إلى عذاب الجحيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحمن الرحيم، وأشهد أن محمداً رسول الله ونبيه الأمين، بلَّغ البلاغ المبين، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

أما بعــد:

فسنتكلم اليوم -إن شاء الله- عن موضوع في غاية الأهمية ونهاية العظمة، عن أمهاتنا أمهات المؤمنين زوجات نبينا وحبيبنا عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. وهل بعد الأمهات في النساء منزلة؟ أم هل بعد زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العفاف مكانة؟!

والحديث عنهنَّ جانب من الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والحديث عنه أطيب حديث.

لقد اختارهن الله لنبيه، واصطفاهن من بين الخلائق لصفيه، وفضلهن على نساء البرية بالمناقب العلية والفضائل السنية، فطهَّرهن في الدنيا من الأنجاس الحسية والمعنوية، وسلَّم قلوبهن من الكفر والشرك والنفاق وسوء الطوية، وجوارحهن من الأفعال الرزية، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].. وأزواجه من أهل بيته. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:٢٦].

وكيف لا تَطْهُرُ قلوبهن وتَطِيْبُ نفوسهن وعندهن الوحي الذي ينزل في الليل والنهار، ويتلى عليهن في العشي والإبكار، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيوتهن يرين أعماله ويسمعن أقواله، ويأتسين بأحواله صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب]، فيا لها من منقبة ما أكبرها! ومفخرة ما أعظمها! ويكفي شهادة لهن قول ربهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢].

ولعظم مكانتهن فقد سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة عليهن؛ ففي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: **(يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)**.

وأخرج أبو داود والترمذي عن عكرمة قال: **(قيل لابن عباس: ماتت فلانة -بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فخر ساجداً، فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟! فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم آية فاسجدوا، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟)**[1]، فسجد من شدة الهول.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٨٩١).

وقـد قـال المـولى جـل جلالـه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]، وقد اشتملت هذه الآية على فضيلة عظيمة ومنقبة رفيعة لجميع زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أنه تعالى أوجب لهن حكم الأمومة على كل مؤمن، مع ما لهن من شرف الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك في الحرمة والاحترام، والتوقير والإكرام والإعظام.

ومن مناقبهن العظيمة التي سجلها القرآن العظيم: أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، إيثاراً منهن لذلك على الدنيا وزينتها، فأعد الله لهن على ذلك ثواباً جزيلاً، وأجراً عظيماً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٢٩﴾ [الأحزاب]، ولقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

ومن مناقبهن العامة رضي الله عنهن جميعاً: أن الله تعالى أخبر عباده أن ثوابهن على الطاعة والعمل الصالح مثل أجر غيرهن مرتين، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١﴾ [الأحزاب].

عباد الله! إن أول زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي أم أولاده خديجة بنت خويلد، التي كان يحبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً كثيراً، وقال فيها: (**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**)، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم.

وبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وقد كانت لها اليد الطولى في مناصرته صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وتبشيره وتثبيته بقولها له: (**والله لا يخزيك الله أبداً**)، وأولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منها كلهم إلا إبراهيم.

وقد كُن -أعني زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في غاية الأدب ونهاية التعبد للرب تعالى، حتى إن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها كما في صحيح البخاري ومسلم -وكانت كثيرة الصيام والقيام والصدقة- لَمَّا دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: (**ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فَتَرَتْ تَعَلَّقتْ به، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا. حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**)، فرحمها الله ورضي عنها.

وعائشة رضي الله عنها يقول عنها القاسم ابن أخيها: (**كنتُ إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها أُسلِّم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ:**

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور]، **وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة**) فسبحان الله ما أشد صبرها على العبادة!!

ولَو كانَ النِّساءُ كمنْ ذكَرنا لَفُضِّلت النِّسَاءُ على الرِّجَالِ

ومن مناقب أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: أنها شرفت برؤية جبريل في صورة دِحْيَةَ الكلبي، وشهد لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها على خير، وأكرمها الله بالسداد والصواب فيما تشير به. ولقد كانت رضي الله عنها جليلة القدر عظيمة المكانة رضي الله عنها وأرضاها.

ومن مناقب أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن الله شهد لها بحقيقة الإيمان: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]، فالمراد بالمؤمنة هنا زينب رضي الله عنها، ومما أكرمها الله به: أنه تولى تزويجها بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم من فوق سبع سماوات ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

وقد وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أطول نسائه يداً، أي أكثرهن صدقة وبذلاً في سبيل الله، وأنها أولهن لحوقاً به، فهنيئاً لها مرافقتها له صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن مناقب أُمِّنا جويريـة: أنهـا تسـمية رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم، وقـد كـان اسـمها بَرَّةَ، وقـد كانـت رضي الله عنهـا مـن المكثـرات في العبادة الذاكراتِ الله كثيراً، فقـد كانـت تـذكر الله مـن بعـد صـلاة الصبح حتى تُضحي.

وأما أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقد نالت شرف الهجـرة الثانيـة إلى الحبشة، وبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحبشة من يخطبها له.

وقد كانت رضي الله عنها شديدة الخوف من الله جل وعلا، ومن العابدات المؤمنات الورعات، تقول عائشة المطهرة رضي الله عنها: (**دعتني أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز، وحَلَّكِ من ذلك، فقالت: سَرَرتِني سَرَّك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك، ثم توفيت رحمها الله ورضي عنها**).

وأمنا السيدة صفية رضي الله عنها شهد لها النبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم بأنها صادقة، كما كانت رضي الله عنها من سيدات النسـاء عبـادة وورعـاً وزهـادة وبراً وصدقة، رضي الله عنها وأرضاها.

ومن مناقب ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد شهد لها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بحقيقة

الإيمان، واستقراره في قلبها مع أخواتها، وقالت فيها الصديقة عائشة: (**أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم**)، رواه مسلم في صحيحه.

ومن مناقب أم المؤمنين سَوْدَة بنت زَمْعَةَ رضي الله عنها: أنها أول من تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة وانفرد بها ثلاث سنين، وكانت من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكانت من محبي الإنفاق في سبيل الله، قالت عنها عائشة رضي الله عنها: (**ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مِسْلَاخِها من سَوْدَة**).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، نحمده سبحانه ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد:

فإن من مناقب أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق الطاهرة العفيفة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن أحب الناس إليه قال: (**عائشة**)، رواه مسلم.

وفيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**وفضل عائشة على النساء كفضل الثَّرِيْدِ على سائر الطعام**)، أخرجه البخاري ومسلم.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح البخاري لابنته فاطمة عليها السلام: (**أي بنية! ألستِ تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى. قال: فأحبي هذه**).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (**أن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة**).

ومن مناقبها رضي الله عنها التي دلت على عظيم شأنها ورفعة مكانتها: شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ

ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

وعدد هذه الآيات لا ينقص عن ثماني عشرة آية، تولى الله فيها الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبين أن ما رُمِيَتْ به كان إفكاً، وهل الإفك إلا الكذب والبُهْتُ والافتراء؟ وحذر من العودة إليه أبداً، وتوعد الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات باللعنة في الدنيا والآخرة.

وقد بشرها الله تعالى بالجنة، وشهد لها بالإيمان الذي هو شرط الفوز بالمغفرة والرزق الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

ومن أعظم مناقبها رضي الله عنها: ما كانت عليه من سعة الحفظ وعمق الفهم وكثرة الفقه، حتى إن كبار الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أشكل عليهم الأمر من الدين استفتوها. فقد روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (**ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**

فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها علماً). وقال عروة: (**ما رأيتُ أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة، ولم ترِ امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها**).

وأما عن عبادتها فقد قال عروة ابن أختها: (**كانت تَسْردُ الصوم**).

وقال عروة أيضاً: (**كانت عائشة رضي الله عنها لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله إلا تصدقت به، وتصدقت رضي الله عنها بسبعين ألف درهم، وإنها لترقِّع جانب درعها**)، رضي الله عن الطاهرة العفيفة الصديقة الشريفة عائشة أم المؤمنين زوج رسول رب العالمين في الدارين.

ومن مناقب أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها: أنها كانت رضي الله عنها من المهاجرات إلى الله ورسوله، ومن الصالحات العابدات الطاهرات العفيفات، ولذلك رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون له زوجة، ورضي الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بها.

وشهد لها جبريل عليه السلام أنها صوَّامة قوَّامة، وأنها زوجته صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة، فقد روى الطبراني بإسناده إلى قيس بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلق حفصة تطليقة.. فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل، فتجلببت، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**أتاني جبريل عليه**

السلام فقال: راجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة)[1]، فكفى بهذا شرفاً وكفى به منزلة ورفعة.

تلك صفحات مشرقة، ونفحات عطرة عن أمهات المؤمنين أزواج خير العالمين أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم، ظهر لنا فيها قمة العفاف والطهر، ونهاية التعبد والزهد، وغاية الأخلاق والسمت الذي تحلين به، ولبسن ثوبه.

ويكفيهن شهادة الله لهن بالطهارة والعفة، واختيار الله لهن واصطفاؤه إياهن لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:٢٦].. ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢].

فرضي الله عنهن أجمعين، ولعن الله شَانِئَهُنَّ والمتعرض لهن بقدح أو ذم من يومنا هذا إلى يوم الدين.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، اللهم فصل وسلم وبارك على إمام الحنفاء، وسيد الأنبياء، وقدوة الأتقياء، وأصفى الأصفياء، محمد المصطفى وآله وصحبه بدور الدُّجى.

اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك وأزواجه وأهل بيته وصحابته، واجعلنا بهداهم مهتدين، وبمنهجهم مؤتسين، وعلى دربهم يا رب سائرين، ومِمَن

(١) صحيح بشواهده كما في الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي.

خالفهم أو عاداهم متبرئين.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر أولياءك الموحدين.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(٨)

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي نشر محاسن سيدة نساء العالمين، وابنة خاتم المرسلين، وزوجة علي أمير المؤمنين، وأم سيِّدَي شباب أهل الجنة أجمعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه المنتخبين، وعنا معهم إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣].

أما بعـــد:

فأوصيكم بما أوصى الله به الأولين والآخرين، تقوى الله رب العالمين: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:١٣١].

عباد الله! إن للنساء في الإسلام مكانةً عالية، ومنزلةً رفيعةً غالية، كيف لا وهي أم الرجل وأخته، وزوجته وبنته! وقد أكثر الخطباء وأفاض الأدباء ووسع العلماء الحديث عن الصالحين والأولياء، ولم يعطوا ذلك القدر للنساء، مع أن فيهن من بلغت في الزهد غايته، وفي الورع نهايته، وكانت في التعبد من حملة رايته، ونالت في العلم حظاً وافراً من حفظه وروايته.

من أجل ذلك سوف تكون خطبتنا اليوم -إن شاء الله- عن امرأة وأي امرأة؟! امرأة ما عرف التاريخ بعدها من يقاربها؛ فضلاً عمن يساويها منزلة ورفعة وسمواً.

جُمِعَتْ لها المحاسنُ فصُبَّت عليها صباً، فأنَّى لخطبة بل لخطب أن تأتي عليها، وقد عجز البنان عن تَعدادها كما عجز اللسان عن ترددها.

ولكني أستميحها عذراً في ذكر قطرات من بحر محاسنها، وشذرات من حلل مناقبها، أهديها إلى كل امرأة تريد القدوة الصالحة، والأسوة الناصحة، والمُثُل الناصعة..

وَأَينَ منْ كانتِ الزَّهراءُ أُسوتها ممَّن تَقفَّت خُطَى حَمَّالةِ الحَطَبِ

إنها فاطمة البضعة النبوية، الزهراء الطاهرة الساجدة، البتول: المنقطعة إلى الله، العابدة.

كانت زاهدة متقشِّفَة، تصوم نهارها وتسهر ليلها ساجدة في عبادة الله وتسبيحه وحمده وشكره، كرهت زخارف الدنيا وشهواتها، ومتعها ولذاتها، وانصرفت للعبادة والصلاة وتلاوة القرآن؛ لأنها عرفت وهي في سن مبكرة أن الآخرة خير من الأولى، ولذلك ملأت نفسها بالزهد في الدنيا والتمسك بالدين، ولعلها في ذلك كانت المثل الأعلى، والقدوة الحسنة التي تقدمها ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبنات جنسها..

هيَ بنتُ منْ؟! هيَ زوجُ منْ؟! هيَ أُمُّ منْ؟!

منْ ذا يُساويْ في الوُجُودِ عُلاهَا؟!

إنها بنت سيد ولد آدم النبي المصطفى والرسول المجتبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، أكرم خلق الله على الله، وأفضل خلق الله عند الله، وأحب خلق الله إلى الله، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم !!

وأما أمها فهي السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، الصديقة المبشرة في الدنيا بقصر في الجنة من قَصَب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب، كما في صحيحي

البخاري ومسلم اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى. فإذا كانت هذه هي الشجرة فكيف تتوقعون أن تكون الثمرةُ إلا الشَّهدَ المحلى، والعسلَ المصفَّى، وإلا الجوهرَ المكنون، والدرَّ المصُون.

كانت فاطمة أصغر بناته صلى الله عليه وآله وسلم -وهي الكبرى عند الله- وُلِدت قبل البعثة.

وقد كانت من أحب الناس إلى أبيها، وكيف لا تكون كذلك وقد ارتشفت من معين أخلاقه ارتشافاً، ورضعت من كرم آدابه ولم تُفطم، حتى كانت أقرب الناس إليه، وأشبههم به، ومن يشابه أبه فما ظلم!

ولذلك فقد قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحب أزواجه إليه: (**ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وأجلسها في مجلسه، كما كانت تصنع هي به**)[1]، رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وأصله في صحيح البخاري ومسلم.

فأشارت بالسمت إلى ما كان يظهر على الزهراء عليها السلام من الخشوع والتواضع لله تعالى.

---

(١) صحيح الترمذي برقم: (٣٨٧٢).

وبالهدي إلى ما كانت تتحلى به من السكينة والوقار، وإلى ما كانت تسلكه من المنهج الرضي والصراط السوي.

وأشارت بالدَّلِ إلى حسن خلقها ولطف حديثها رضي الله عنها.

عباد الله! لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُسِرُّ إليها من حبه لها تطييباً لخاطرها، وتسليةً لنفسها، فقد روى الشيخان البخاري ومسلم إماما المحدثين، وقدوة العلماء المحققين في الصحيحين، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (**اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده فلم تغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة عليها السلام تمشي ما تخطئُ مِشيتُها مِشيةَ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: مرحباً بابنتي! فأقعدها عن يمينه أو عن شماله، فسارَّها بشيء فبكت، ثم سارَّها بشيء فضحكت، فقلت لها: خصَّكِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيننا بالسِّرَار فتبكين؟! فلما قام قلت لها: أخبريني بما سارَّك. فقالت: ما كنت لأُفشي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سِرَّه، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت لها: أسألك بما لي عليك من حق لما أخبرتِني. فقالت: أما الآن فنعم، فقالت: سارَّني فقال: إن جبريل عليه السلام كان يعارضُني بالقرآن في كل سنة مرةً وإنه عارضني العام مرتين، ولا أرى ذلك إلا عند اقتراب الأجل، فاتقي الله واصبري، فنعم السلف أنا لك، فبكيتُ، ثم سارني فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو قال: سيدة نساء هذه الأمة...**)، فهنيئاً لها تلكم المنزلة السامية، والشرف العالي.

وعن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (**حَسبُك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وآسية امرأة فرعون**)[1]، أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه.

لقد تزوجت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله الخليفة الرابع الراشد، والناسك العابد الزاهد.. زوجها الله به رضي الله عنه ليلتقي الشمس بالقمر، ليكون النتاج بنجمين ساطعين، وكوكبين دُرِّيَّين، وبدرين نيِّرين، هما سيدا شباب أهل الجنان، وهما: الحسنان، عليهما من الله الرضوان.

فكيف كان زواجها رضي الله عنها؟

لقد كان مهرها درعَ علي الحُطَميَّة. الله أكبر!!

فإلى أولياء الأمور الذين يغالون في المهور، خذوا هذا الدرس من سيدة نساء العالمين التي بلغت من النسب أشرفه وأعلاه، ومن الخلق أحسنه وأزكاه، كان مهرها درعاً حُطَميَّة، وهي التي لو جمعت كنوز الأرض لتكون لها مهراً لما بلغت مهر مثلها، ولكنه الدرس الذي ينبهنا إليه الشرع، وهو أن لا نغالي في المهور.

أهديت عليها السلام إلى الإمام علي رضي الله عنه ومعها خَميلة ومِرْفَقَةٌ من

(١) صحيح الجامع برقم: (٣١٤٣).

أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وقِرْبَة ومُنخُل وقَدَحٌ ورَحى وجِرابَانِ، ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل، وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

قمَّت رضي الله عنها البيت حتى اغبرّت، وطحنت حتى مَجِلت يداها -أي: ثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البثر- وأثرت الرحى في صدرها، واستعانت على خدمة البيت بالتسبيح، ولما علم زوجها علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جاءه خدم قال لفاطمة رضي الله عنها: **(لو أتيت أباك فسألته خادماً؟ فأتته، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما جاء بك يا بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الغد، فقال: ما كانت حاجتك؟ فسكتت، فقال علي: أنا أحدثك يا رسول الله! جَرَّت الرحى حتى أثَّرت في يدها، وحملت القِربة حتى أثرت في نَحْرها، فلما أن جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمها خادماً يقيها التعب، وما هي فيه من الشدة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصُّفَّة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم.**

فرجع.. فأتاهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطيا أقدامهما تنكشف رأساهما فثارا! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مكانكما.. ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلى. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا

أويتما إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدا الله ثلاثاً وثلاثين، وكبرا الله أربعاً وثلاثين، فذلك خير لكما من خادم)، كما في صحيح البخاري ومسلم، فما زالت فاطمة وعلي رضي الله عنهما يواظبان على هذه الوصية النبوية طوال حياتهما.

وقد ولدت لعلي رضي الله عنه من البنات زينب، وقد تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأم كلثوم، وقد تزوجها عمر بن الخطاب، الفاروق، والمحدَّث الملهم رضي الله عنه، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك)**، كما في صحيح البخاري ومسلم، وكان زواجه بأم كلثوم في خلافته، وأكرمها إكراماً زائداً، وأصدقها أربعين ألف درهم؛ لأجل نسبها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ولدت له زيداً ورقية.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من أضاع أمره وعصاه، الخافض لأعدائه، والرافع لأوليائه، فلا إله إلا الله، نحمده ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونسأله العلم والعمل بلا إله إلا الله.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أتقى خلقِ الله وأعلمُهم بربه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن آمن به وأحبه واهتدى بهداه.

ومن معالم سيرتها رضي الله عنها: الصدق في الحديث، ولا غرو! فهي بنت الصادق المصدوق، قالت الصديقة عائشة -زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيبة الطاهرة العفيفة-: (**ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة، إلا أن يكون الذي ولدها**)، رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وقد كانت رضي الله عنها مثلاً يضرب في الشجاعة في الحق، والإقدام على الصدق، حتى وهي صغيرة، فقد خرجت يوماً مع أبيها صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبة، فما إن رآه المشركون حتى قالوا: (**أنت الذي تقول ما تهزأ به من آلهتنا، أو تسفه أحلامنا؟ فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم: نعم. أنا الذي يقول ذلك. فآذوه -بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم- فراحت فاطمة عليها**

السلام تدافع عنه وتشتم أولئك الذين آذوه). ولقد رأت رجلاً من المشركين يأخذ بِمَجْمع رِدائه، فأفقدها المنظر النطق، حتى قام أبو بكر الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار، ورفيقه في الهجرة، ووزيره المؤتمن، وخليفته الراشد من بعده، وهو يقول: **(يا قوم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!)**، ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح البخاري، فصلى الله وسلم على نبينا محمد، ورضي الله عن ابنته الزهراء، وعن صاحبه أبي بكر على ما بذل وضحى، وناصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بماله ونفسه، حتى استحق ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم فيه: **(ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته)**[1].

أيها المؤمنون! لقد كتب الله الفناء على البشرية جمعاء ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر]، وقد آن للزهراء أن تضع عن كاهلها آلامَ الدنيا وهمومَها، ومصاعبَ الحياة وغمومها، وأن تنعم في الجنة بالقرب من أبيها وأمها، فتنهي بذلك حياة عامرة بالزهد والعبادة، والخلق والريادة، وتكون ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]، وذلك بعد مرض ألمَّ بها عليها السلام، وقد لازمتها فيه أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ويقال: إن أبا بكر قد أرسل زوجته أسماء لتكون في خدمتها، وقد زارها

(١) صحيح الجامع (٥٥١٧)، وبنحوه في البخاري.

الصدِّيق في مرضها بعد أن استأذن منها فأذنت له، ولم يكن في قلبها إلا الوفاء لأعز صديق وألصق رفيق بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا -أيها المؤمنون- طويت صحيفة امرأة من ناسكات الأصفياء، وصفيات الأتقياء، فاطمة سيدة النساء عليها السلام.. السيدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.. أكثر أولاده بقلبه لصوقاً، وأولهم بعد وفاته به لحوقاً.. التي كانت عن الدنيا ومتعها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة، لكنها بقيت ولم تزل في قلوبنا وقلوب كل المسلمين إلى يوم الدين رمزاً للحياء، ومثلاً للعبادة والنقاء، وأسوة للرجال والنساء.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

اللهم فصلِّ وسلم على محمد الرسول، وعلى الزهراء البتول، وعلى بقية الآل والصحابة العدول، ومن سار على منهجهم وبهديهم يعتقد ويقول.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٩)

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أعز دينه فولَّى الكفرُ وغُلب، ونصر المسلمين بأمثال حمزةَ بنِ عبد المطلب، فاندحر بذلك الأعداء، وأكرم الله حمزة بالشهادة فكان سيد الشهداء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن مما يُحزن أن بعض المسلمين اليوم يعرفون عن أبطال النصارى أكثر مما يعرفونه عن شهدائهم، الذين شادوا بدمائهم الأمة الإسلامية، ورفعوا على أجسادهم قوائمها، ولتصحيح هذا الخلل، وإبطال هذا الدغل؛ نعيش هذه الخطبة مع سيد الشهداء، وأسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.. الإمام البطل الضِرْغَام، عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه من الرضاعة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه.

هذا الرجل الشجاع يجيد فن قطع رءوس الوثنية، إذا ضرب بالسيف هزه هزاً، وأحرز به مجداً وعزّاً.. حضر بدراً، وقُتل غدراً.

اسمع كيف أسلم هذا الجبل..

قال محمد بن كعب القُرَظِي: قال أبو جهل في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبلغ ذلك حمزة، فدخل مغضباً، فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوجعته، وأسلم حمزة، ففرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون، وكان ذلك في السنة السادسة من البعثة، بعد دخول رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم دار الأرقم.

أخي المسلم! إن هذا القرآن ينزل على الكائنات فتخشع وتسجد، ولقد سجد حمزة وآمن وصاح: أشهد أنك صادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأنا على ديني الأول.

بِسيفِكَ يعلو الحقُّ والله أكبرُ ويُـذبَحُ عِجْلُ البَغيِ والزُّور يُنحرُ

إن من أهم الصفات وأجل الخصال التي تبرز صدق الصادقين من كذب الكاذبين، وتكشف ثبات المخلصين وتميزها من المنافقين، ومعسول كلام المخادعين والمرائين.. من أهم تلك الصفات وأجلها: تنفيذ الأوامر الربانية، بالانطلاق في ساحات الجهاد، وميادين النزال، عندما يُبتلى المؤمنون ويزلزلون زلزالاً شديداً، وتبلغ قلوبهم الحناجر.

وهذا التطبيق العملي بنصرة دين الله تعالى، وبذل النفس رخيصةً في سبيله، هي الصفة التي كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهي سمة الصحابي الجليل، والمجاهد الكبير، أبي عمار حمزة أسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنه وأرضاه.

أما أهم حدث في تاريخ هذا الجبل الكبير، والمقاتل الصنديد، فهي معركة أحد، التي وقعت أحداثها في السنة الثالثة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

حيث خرجت قريش بحدِّها وحديدها، وجَدها وأحابيشها، ومن تابعها من بني كِنانة وأهل تهامة، وخرجت معهم عدد من النساء تحرض على القتال، وتحذر من الفِرار.

فخرج المسلمون إلى جهاد الكافرين يرجون إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، ويتقدم حمزة شهيد الإسلام وبطله تَقَدُّمَ الأبطال، ويسل سيفه مدافعاً عن دين الله جل وعلا.. يحلف بالله الذي أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليصمدنّ أمام الكافرين، وفعل رضي الله عنه ما يقول، فقاتل قتال المخلصين المجاهدين.

كان رضي الله عنه ورحمه يهُدّ الناس بسيفه مثل الجملِ الأَوْرَق، وفي أثناء المعركة مر به أرطأةُ بن شُرَحْبيل حامل لواء الكفر فقتله، ومر به سِباع بن عبدِ العزَّى الغَبَشاني فقتله.

وهكذا صدق حمزة مع ربه، فصدَّقه وأكرمه بالشهادة في سبيله، وتحت راية دينه، فأَنْعِم بها من مكرمة! وأَكْرِمْ بها من منزلة! خاصة إذا علمنا عظم البلاء الذي حل به بعد قتله، عندما التُمِس ببطن الوادي قد بُقر بطنُه، وقطع كبده، ومُثِّل به، وجُدِع أنفه وأذناه.

فحزن عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حزناً عميقاً، وزاد حزنه حين رأى ما مثل به المشركون، حتى إنه حلف صلى الله عليه وآله وسلم لئن ظفر بهم

ليمثلن بثلاثين، ثم أمره الله بالصبر فامتثل أمره وكفر عن يمينه.

وهكذا مضى سيد الشهداء حمزة الشهيد إلى ربه راضياً مرضياً بإذن الله، وسار إلى الدار الآخرة، بعدما سطر بدمه الطاهر تاريخاً حافلاً بالتضحيات، مليئاً بالبطولات، وليكفه شرفاً وفخراً ما أخرجه الإمام أحمد في المسند بسند قوي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً: (**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**)[1].

وكذا ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسند حسن عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمزة وقد جُدِّع ومُثِّلَ به، فقال: (**لولا جزع النساء لتركته حتى يحشره الله من حواصل الطير وبطون السباع**)[2].

وكُفِّن رضي الله عنه في نمرة، إذا خُمِّر رأسُه بدت رجلاه، وإذا خُمِّرت رجلاه بدا رأسه، وقام دعاة الإسلام يرثونه ويذكرون المصيبة التي أصابت المسلمين بفقدهم هذا المجاهد الباسل، والبطل المِغوار، ومن أولئك ابن رواحةَ حيثُ يقول:

بَكَتْ عَيني وحُقَّ لَها بُكاها وَمَا يُغنِي البُكَاءُ ولا العَويلُ

(١) الصحيحة برقم: (٣٧٤).

(٢) بنحوه في صحيح الجامع برقم: (٥٣٢٤).

عَلَى أَسَدِ الإلهِ غَداةَ قَالوا هُناك وقدْ أُصيبَ بِه الرسولُ
عَليكَ سلامُ ربِّك في جِنانٍ مُخالطُها نَعيمٌ لا يَزولُ

وَرَثَتْهُ أخته صفية قائلة:

دَعاه إلهُ الحقِّ ذو العَرشِ دَعوةً إلى جنَّةٍ يَحيَا بها وسُرورِ
فذلكَ ما كُنَّا نُرجِّي ونرتَجي لِحمزةَ يومَ الحشرِ خَيرُ مصيرِ

هذا هو حمزة بن عبد المطلب، الذي حطم جماجم صناديد قريش، فهو طراز آخر، وقصة أخرى، وشيء ثانٍ.. إذا تكلم فهي الكلمة الثائرة، وإذا ضرب فهي الضربة القاتلة القاضية، هذا من جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وباع نفسه لله تعالى، حتى قتل شهيداً، ثم لا يجد المسلمون عند موته غيرَ ثوبٍ قصير لا يكفي كفناً له، فرضي الله عنه وأرضاه، وجعل أعالي الفردوسِ مثواه، وجمعنا به في دار كرامته، ومستقرِّ رحمته.

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولـد، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأن محمـداً عبـده ورسـوله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم.. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله! واعلموا -رحمكم الله- أن الجنةَ غاليةٌ نفيسة، حريٌّ بالمسلم أن يسعى لها سعياً حثيثاً، وأن يقدم الغالي والنفيس في سبيل الحصول عليها، وتلك هي الأمنيةُ العظمى، والمطلب الغالي، الذي من فاته فقد حُرِمَ الخيرَ كله، ومن فاز به فنعمَ الفوز، ونعم الجوارُ جوارَ ربِّ العالمين سبحانه وتعالى.

عباد الله! هذه سيرةٌ من سير سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم، سيرةُ بطلٍ مجاهد، ولنا مع سيرة هذا الصحابي المجاهد وقفاتٌ وعظات:

أولها: أن المؤمن لابد أن يظهر محبته للدين والشريعة؛ بالدفاع عنها، وبذلِ نفسهِ رخيصةً في سبيل الله تعالى، ونصرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا داعي الجهاد، واستُنفر المسلمون، كما فعل حمزة، وكما فعل أبو دُجَانة يوم خرج للجهاد في غزوة أحد، وأخرج معه عصابةَ الموت، ومثل الشهيد أنسِ بن النَّضْر رضي الله عنه الذي كان يقول: (**إني لأجد ريح الجنة دون**

أحد)، فقاتل حتى قتل.. تلك هي حالُ الصادقين المخلصين، أما المنافقون فدجالون وكذابون، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

وثاني هذه الدروس والعبر: بيان أهمية الصبر في الإسلام، وأن شأنه عظيم، وهذا نعلمه من موقف صفيةَ أخت حمزة، فإنها لما علمت بمقتل حمزة لم تَجزعْ ولم تَسخطْ، وإنما قالت: **(لَأحتسبنَّ وَلأصبرنَّ إن شاء الله)**.

وهذا ما يجب أن يتصف به المسلم عند المصائب والأزمات التي تنزل به وبأهله.

ثالث هذه العبر: أن نصدِّق تصديقاً جازماً أن ما قاله الأنبياء حق، وأن رؤياهم حق، وأنها واقعةٌ كما وقع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك أخرج الإمام البخاري في صحيحه في كتاب تعبير الرؤيا: **(أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)**.

وأخيراً: نذكر في بيان حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم لبعض، ما أورده الذهبي في سير أَعلام النبلاء في ذكر سيرة حمزةَ رضي الله عنه، قال: عن يونس بن بُكَير، عن هشام بن عُروة، عن أبيه قال: **(جاءت صفيةُ يوم أحد ومعها ثوبان لحمزة، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كره أن ترى حمزةَ على حاله، فبعث إليها الزبير يجنبها، وأخذ الثوبين، وكان إلى جنب حمزة قتيلٌ من الأنصار، فكرهوا أن يتخيروا لحمزةَ أحد الثوبين، فقال**

الزبير: اسهموا بينهما، فأيهما صار له أحد الثوبين فهو له، فأسهموا بينهما، فكفِّن حمزةُ في ثوب والأنصاري في ثوب)[1].

أخي المسلم! علك تنظر إلى هذه الرحمة والرأفة، التي هي أعظم صفات أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فاللهم يا رحمن يا رحيم، ارزقنا التخلق بأخلاق السابقين المؤمنين، وأفرح قلوبنا بالشهادة في سبيلك، تحت راية الإسلام وشريعته صادقين مخلصين، مقبلين غير مدبرين.

أيها المسلمون! صلوا وسلموا على من أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام عليه في قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **(من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه بها عشراً)**، رواه مسلم.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين، وارض اللهم عن أصحاب نبيك أجمعين، وآل بيته يا رب العالمين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) قال الألباني في أحكام الجنائز (ص:٦٢): إسناده صحيح.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأهلك الكفرة الملحدين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

سبحانَ ربِّك ربِّ العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله رب العالمين.

(١٠)

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي زيَّن السماء بمصابيح ليهتدي بها في ظلمات البر والبحر كلُّ سالك، وأنار الأرض ببدورٍ ساطِعةٍ في سماء العلم ليهتدي بها من ظلَّ في ظلمات الجهل والمهالك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا ندّ له ولا مشارِك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم من كلِّ مقتفٍ وناسِك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

أما بعـد:

أيها المسلمون! إن الكلام عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له مكانة في نفوس المسلمين، فهم أقرب الناس إلى رسول الله دماً، وفضائل أهل البيت الكريم كثيرة جداً، والسؤال هو: من هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

وجواب ذلك: هم من تَحرُم عليه الصدقة من أزواجه وذريته وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف.

ولعل قائلاً يقول: من هم أبرزُ شخصيات أهل البيت الكريم؟

فنقول له: هم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وجعفر، وعقيل، والحمزة، والعباس، وعبد الله بن العباس، والفضل بن العباس، وغيرهم، إلا أن هؤلاء هم أبرز الشخصيات التي كتب لهم التاريخ كتابة حافلة بجميع أنواع المحافل، وفي هذه الخطبة نكتفي بذكر شخص من تلك الشخصيات البارزة، وعلم من أعلام الصحابة.. إنه أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسفير المسلمين إلى بلاد الحبشة.

إنه جعفر بن أبي طالب، كنيته أبو عبد الله، وحَسْبُ جعفـرَ رضي الله عنه أنه من تلك الشجرة التي بارك الله في فروعها وأغصانها.

وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجعفر بن أبي طالب: (**أشبهتَ خَلقي وخُلقي**).

كان جعفرُ رضي الله عنه أكبر من أخويه علي وعقيل رضي الله عنهم أجمعين.

نشأ رضي الله عنه تحتَ رعاية عمـه العبـاس، في ثـراء ورعايـة وحمايـة، حتـى بعث الله نبيه بدين الحق، والتحق بدين مبدد جحافل الظلام، فأسـلم جعفـر هـو وزوجته أسماء بنت عميس على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنـه، انضـم جعفـر إلى ركب النور هو وزوجته منذ أول الطريق.

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر تلقاه جعفر، فالتزمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل بين عينيه وقال: (**ما أدري بأيهما أفرح: بفتح خيبر أم بقدومِ جعفر**)، وفي رواية: (**أنه ضمه واعتنقه**). وهو حديث حسن.

قال ابن إسحاق: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين جعفر ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهما.

وعنـدما ازداد عـدد المسـلمين بمكـة شـعر كفـار قـريش بخطـورة الوضـع،

فقاموا بتعذيب المسلمين وسجنهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فأشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يهاجروا إلى الحبشة؛ لأن فيها ملِكاً من أهل الكتاب يجير من استجار به، ويَحمي من احتمى به، ولا يُظلم عنده أحد، فكانت أول طليعة من المهاجرين أحدَ عشرَ رجلاً وأربع نسوة، وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة.

ثم عادوا لما سمعوا أن أذى المشركين قد خف، وأصبح بإمكانهم أن يعيشوا بأمان، وما أن وصلوا أبواب مكة حتى علموا كذب ذلك كله؛ بل إنهم ما إن عادوا حتى لقوا من قومهم الأذى الأشد والأنكى.

فعاد الركب مرة أخرى إلى الحبشة، وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب، وكان أميرَهم، والمتكلمَ باسمهم وباسم الإسلام، فاستقر بهم الأمر عند النجاشي، وذاقوا لأول مرة طعم الأمن، واستمتعوا بحلاوة العبادة دون أي تَعْكير أو كَدَر، قالت أم سلمة رضي الله عنها: (لما نزلنا أرض الحبشة لقينا فيها خير جوار ومأمن على ديننا، فلما علمت قريش بذلك أرسلت إلى النجاشي برجلين جَدِلَيْنِ هما: عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة، ومعهم هدايا للنجاشي، فأتيا النجاشي وقَدَّما له الهدايا، فأعجب بها، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملك! إنه قد أوى إلى مملكتك طائفة أشرار من غلماننا، قد جاءوا بدين لا نعرفه نحن ولا أنتم، ففارقوا ديننا، ولم يدخلوا دينكم، وقد بعثنا إليك أشراف قريش لتردهم إليهم. فنظر النجاشي إلى بطارقته فقالوا: صدقا، فإن قومهم أبصر بهم،

وأعلم بما صنعوا، فَرُدَّهم إليهم، فغضب الملك من كلام بطارقته، وقال: لا والله لا أسلمهم حتى أدعوهم، وأسألهم عما نسب إليهم، فإن كانوا كما قال هذان الرجلان أسلمتهم إليهما، وإن كانوا غير ذلك حميتهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت أم سلمة: فلما اجتمعنا عند النجاشي تشاورنا على أن يتكلم عنا جعفر ابن أبي طالب ولا يتكلم أحد غيره.

فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي أحدثتموه وفارقتم بسببه دين قومكم؟

فقال جعفر: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسِيءُ الجوار، ويأكلُ القويُّ منا الضعيف، حتى بعث الله منا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى توحيد الله، وأن نخلع ما كنا نعبد من دون الله من حجارة وأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسْنِ الجوار، والكف عن المحارم، وحَقْن الدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة...

فما كان من قومنا إلا أن استعْدوا علينا، فظلمونا وقهرونا، وضيقوا علينا، فخرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك)[1].

(١) صحيح السيرة النبوية للألباني (ص:١٦٥) وما بعدها.

والقصة مشهورة ومعروفة، ولكن الشاهد فيها أن جعفراً رضي الله عنه كان متكلماً بليغاً، قوي الحجة والمنطق، دافع عن دينه الذي اعتنقه عن قناعة وإيمان صادق، واليوم نرى أبناء المسلمين يفرطون أيما تفريط في هذا الدين؛ بل إنك لا تراهم إلا وهم يهزءون بإخوانهم المسلمين، وهم بذلك لا يدرون أنهم يهزءون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.. يهزءون بآبائهم وأجدادهم العلماء والدعاة الفاتحين والمجاهدين.

إن جعفراً رضي الله عنه ضرب لنا مثلاً عظيماً بهذه المناظرة من أقوى الأمثلة والحِكَم، منها: أن الإسلام لن يموت ولكن قد يضعف، وأن الإسلام هو في أصله عزيز بعز الله، وأن لا نجاة ولا أمان إلا بهذه العزة.

بقي جعفر رضي الله عنه هو وزوجته أسماء بنت عُمَيس عشر سنوات في الحبشة، وفي السنة السابعة من الهجرة عاد جعفر وأصحابه المهاجرون إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم عائداً من خيبر بعد أن دك حصونها وفتحها الله عليه، ففرح صلى الله عليه وآله وسلم بلقاء جعفر فرحاً شديداً، ولم تكن فرحة المسلمين عامة والفقراء منهم خاصة بعودة جعفر بأقل من فرحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد كان جعفر شديد العطف على الضعفاء كثير البر بهم، حتى أنه كان يلقب بأبي المساكين، وأخبر عنه أبو هريرة رضي الله عنه فقال: (**كان خيرُ الناس لنا - معشر المساكين - جعفرَ بن أبي طالب**)، أخرجه البخاري.

وقال عنه أبو هريرة رضي الله عنه: (**ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **أفضل من جعفر بن أبي طالب**).

هذه إشارة خاطفة إلى شيء من مكانة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فرحمه الله ورضي عنه وأرضاه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على رسولنا المصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.. أما بعـــد:

عباد الله! إن فضائل أهل البيت كثيرة كما أسلفنا، وهي شَيِّقَةٌ وجميلة، وجعفر رضي الله عنه له الصدارة في هذه الشجرة المباركة.

لقد كان لجعفر رضي الله عنه من الإخوة اثنان هما: عقيلٌ وعلي رضي الله عنهما، أما علي فهو كالشمس في رابعة النهار، وكالبدر يوم اكتماله، وأما عقيلٌ فهو أكبر إخوته وآخرهم موتاً.

ونعود إلى جعفر الطيار، فهو أحد شهداء معارك التاريخ، ولم يَطُلْ مُكثُ جعفر في المدينة، ففي أوائل السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً لمنازلة الروم في بلاد الشام، وأمَّر على الجيش زيد بن حارثة، وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (**إن قتل زيد وأصيب فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر أو أصيب فالأمير عبد الله ابن رواحة، قال ابن عمر: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية**)، وقد بلغ

عدد مقاتلي الروم قرابة (مائتي ألف)، وعدد جيش المسلمين (ثلاثة آلاف)، وما أن التقى الجمعان ودارت رحى المعركة حتى فاز زيد بن حارثة بالشهادة مقبلاً غير مدبر، فما أسرع أن وثب جعفر بن أبي طالب عن ظهر فرس شقراء، ثم عقرها حتى لا ينتفع بها الأعداء من بعده، وحمل الراية، وأوغل في صفوف الروم.

أيها المسلم! إنه يسابق إلى الجنة، دفعه الاشتياق إليها، فهو الذي قال شوقاً إليها في يوم مؤتة:

يَا حبَّذَا الجنةُ واقترابُها طيِّبَةٌ وبَارِدٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قَد دَنَا عَذابُها كَافِرةٌ بعيْدةٌ أَنسَابها
علـيَّ إنْ لاقيتُهـا ضِـرَابُهـا

إنها الجنة الجزاء الخالص الفريد.. إنها الجنة التي غرسها الرحمن بيده، فرحم الله أقواماً عرفوا من غرسها وقدَّروا قدر الغرس، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

فالله أكبر كم يفيض الله على عباده من كرمه! وكم يغمرهم سبحانه من فضله! ومن هم حتى يتولى الله جل جلاله إعداد ما يدخره لهم من جزاء في عناية ورعاية وود واحتفاء!! إنه الكريم المنان، الفاتح لأبواب الجنان.

ظل جعفر رضي الله عنه يجول في صفوف الأعداء بسيفه ويصول، حتى

أصابته ضربة قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، فما لبث أن أصابته أخرى قطعت شماله، فأخذ الراية بصدره وَعضُدَيه، فما لبث أن أصابته ثالثةٌ شَطَرَته شَطْرين.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**أن لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة**)[1]. والجزاء من جنس العمل.

استشهد فتى بني هاشم؛ ليأخذ مقعده في جنان الخلد في مقدمة شهداء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في الثالثة والثلاثين، ترك خلفه أبناء لا متاع لهم ولا مال، وكانت أسماء يومها تقوم بتنظيف الأولاد وتطييبهم وهي تتأهَّبُ للقاء زوجِها الغائب، فأتاهم صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (**ائتيني بِبَني جعفر، فأتته بهم، فتشمَّمهم وذرفتْ عيناه بالدموع، فقالت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، لقد استشهدوا هذا اليوم**)، فأخذت تبكي وتصيح، واجتمعت نساء حولَها، عند ذلك غاضت البسمة من وجوه الصغار، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمضى يُكَفكفُ عبراتِه ويقول: (**اللهم اخلف جعفراً في ولده، اللهم اخلف جعفراً في أهله، ثم قال: لا تُغْفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً؛ فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم**)، وهو حديث حسن[2].

---

(١) الصحيحة برقم: (١٢٢٦).

(٢) أحكام الجنائز للألباني (ص:٧٤).

وهكذا سنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ماضية، وهي إعداد الطعام من قبل ذوي القربى والجيران لأهل المصيبة لمدة ثلاثة أيام؛ لانشغالهم بمصابهم، لا كما يقام اليوم في ديار الإسلام.

وأتت أسماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت يُتم أطفالها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما صح عنه: (**العَيلَةَ تخافينَ عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة**).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا لقي عبد الله بن جعفر يقول له: (**السلام عليك يا ابن ذي الجناحين**).

لقد مات جعفر، فوجد المسلمون فيما بقي من جسده تسعين ضربةً بين طعنة برمح وضربة بسيف.

فسلام على جعفر بن أبي طالب، فقد ملأَ الدنيا جهاداً حتى استشهد، وسلام عليه يوم أبدل بجناحين يطير بهما في جنان الخلد حيث يشاء، ورضي الله عنك يا جعفر، لقد صدقتَ ما عاهدتَ الله عليه، حتى قضيتَ نحبك.

إن سيرةَ الشهداء لا تنتهي، ولكن العبرة التي لا تنسى هي أننا نربي أبناءنا على الإيمان والجهاد والقرآن والسنة.. هذه هي سيرة جعفر الطيار.. هذه هي سيرة صحابي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين سطَّروا لنا صفحاتٍ من التاريخ الحي، بل هي كل التاريخ، فبمثل هذه السير تحيا الأمم.

عباد الله! صلوا على النبي الزكي صلاة ما تعاقب الجديدان، اللهم فصلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم بلغنا منازل الشهداء، وأحينا حياة الشهداء، وتوفنا شهداء، اللهم إنا نسألك مرافقة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وارحم موتانا، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم أصلح شباب المسلمين، واجعلهم من أنصار سنة سيد المرسلين، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، وأهلك الكفرة من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

(١١)

العباس بن عبد المطلب وبعض بنيه رضي اللّه عنهم

الخطبة الأولى:

الحمد لله حمدَ الذاكرين الشاكرين الأبْرار، أحمده سبحانَه على نعمه الغزار، وأشكُره على فضله المدرار، وأتوب إليه وأستغفره وهو العزيز الغفار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له الواحدُ القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار، وأزواجه وأهل بيته الأطهار، صلاةً وسلاماً دائمين متعاقبين ما تعاقب الليل والنهار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

أما بعــد:

أيها المسلمون! إن من أفضل القربِ رِعاية حقوقِ أهل الرُّتَب، ومن الرُّتَبِ العالية الكريمة رتبةُ أهل البيت الأصفياء، فإن أهل بيت المصطفى قد ندب الشرع الحنيف إلى ذكر ورعاية حقوقهم من وجوهٍ ليس بها خفاء.

وموضوعُ خطبتنا اليوم صحابي جليل أسلم قديماً، وكان يكتم إسلامه، وهو أبو حبر هذه الأمة، إنه العباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو الفضل.

كان العباس رضي الله عنه أكبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث سنوات، وكان يقول إذا سئل: (**أيكما أكبر أنت أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فيقول: هو أكبر وأنا وُلِدتُ قبله**).

قال الكلبي: كان العباس شريفاً مهاباً عاقلاً جميلاً، أبيض، معتدلَ القامة.

وقال الذهبي: «كان أطولَ الرجال، وأحسنَهم صورةً وأبهاهم، وأجْهرَهُم صوتاً، مع الحلم الوافر والسؤدد».

وكان للعباس رضي الله عنه ثوبٌ لعاري بني هاشم، وجَفْنةٌ لجائعهم، ومنظرة لجاهلهم، وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب.

وكان له عشرةٌ من الأولاد، أكبرهم حبرُ هذه الأمة وترجمانها، عبد الله بن العباس، الذي لا تكاد ترى كتاباً ولا ديواناً من دواوين أهل الإسلام قاطبة إلا وهو مذكور فيها.

وقد كان للعباسِ مكانته عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

فمـن ذلـك أنـه كـان إذا مـر بعمـر أو بعثمان وهمـا راكبـان نـزلا حتـى يجاوزهما؛ إجلالاً لعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما استُخلفَ عمرُ وفُتحت عليه الفتوح، جاءه مال فَفَضَّل المجاهدين والأنصار، ففرض لمن شهد بدراً خمسة آلاف، ولمن لم يشهدها وله سابقة أربعة آلاف، وفرض للعباس اثني عشر ألفاً.

وكان علي رضي الله عنه يقبل يد العباس ورجله، ويقول: (**يا عم! ارض عني**)، رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال سعيد بن المسيب: (**العباس خير هذه الأمة**).

ومن مواقف العباس رضي الله عنه:

ما رواه مسلم في صحيحه عن كثير بن العباس رضي الله عنهما قال: قال العباس: (**شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حُنين، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله لم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فَروة بن نُفَاثَة الجُذَمِي، فلما التقى المسلمون والكفار، وولى المسلمون مدبرين، فَطِفَق رسول الله يركض ببغلته قِبَل الكفار، قال العباس: وأنا آخذٌ بركاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسول الله: أَيْ عباس! نادِ أصحابَ الشجرة، فقال العباس -وكان رجلاً صيِّتاً-: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحابُ الشجرة؟ قال: فوالله لكأنَّ عَطفتَهُم حين**

سمعوا صوتي عَطْفَةَ البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك! قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشرَ الأنصار، يا معشر الأنصار! يا بني الخزرج، يا بني الخزرج! فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا حين حَمِيَ الوَطِيْسُ، قال: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَصَيَاتٍ فرمى بِهِنَّ وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا وربِّ محمد، قال: فذهبتُ أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بِحَصَياتِهِ، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً، وأمرهم مدبراً).

تأمَّل يا عبد الله! إلى هذا التلاحم الإيماني، يوم أن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم العباس بالنداء، فما هي إلا لحظات حتى اجتمع الصحابة.

هذا هو العباس.. مناصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمدافع عنه.. هذا هو عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي تنسب إليه دولة إسلامية عظيمة، هي الدولة العباسية.

ولقد أعتقَ العباسُ رضي الله عنه عند موته سبعين مملوكاً.

وورد أن عمَر عَمَد إلى مِيزَابٍ للعباس على ممر الناس فقلعه، فقال له: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر على العباس: لتصعدنَّ على ظهري ولتضعنَّه موضِعه.

أخي! انظر إلى هذا الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتأمَّل كيف يتعامل مع عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في أثر من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أما نحن فيا ترى كيف تعاملنا مع آبائنا وإخواننا المسلمين؟! بل كيف تعاملنا مع كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؟!

إنك تجد الرجل منا يقعد ويأكل ويمسح بالمجلات والجرائد التي فيها اسم الله جل جلاله، دون احترام ولا تقدير، ولا خوف من العلي القدير.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، ولي المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العرش العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين.

أما بعد:

عباد الله! إن في سيرة الصحابة الكثير من الأدب والحكم والمواعظ، وقد يقول قائل: ما هو السبب في أن الصحابة رضوان الله عليهم لهم هذه الأخبار والآثار؟

والجواب على ذلك: أنهم حملة رسالة رسول رب العالمين.. فعلى أيديهم كان الفتح والجهاد، وقد تلقوا العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلغوه، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدينة العلم وهم أبوابها.

ومن هنا نالَ العباس رضي الله عنه وبنوه المرتبةَ العليا في العلم والجهاد، فرأس العلم وحبر هذه الأمة هو عبد الله بن العباس، وأمُّ هذا الحبر هي ثاني امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها، وهي أم الفضل لبابةُ بنت الحارث الهلالية، ومن أولاده قُثَمُ بن العباس بن عبد المطلب، وكان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، استشهد رضي الله عنه في سمرقند، ومن أولاده مَعْبد، وكَثير، وتمام، وعبيد الله، والفضل، وبه كان يُكنى.

أما أشهرهم فهو حبر الأمة، وفقيهها، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله ابن العباس، وهو رديف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**)، كما في صحيح البخاري ومسلم.

أخي المسلم! هذا بيت من بيوت أهل البيت الكرام، فيهم الإمام والشهيد والزاهد والسابق إلى الإسلام، والسؤال هو: من منا كان له ذلك الفضل في تربية أهل بيته على الإيمانِ والقرآنِ والجهاد والعلم؟!

من منا دعا لنفسه ولأهل بيته بمرافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه الكرام في الجنة؟!

عباد الله! إن الثناء والدعاء لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدلائل على حب الرجل لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر:١٠]، ففي هذه الآية دلالة على أن الدعاء لأصحاب رسول الله فيه إشارة إلى طلب سلامة القلب نحوهم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠].

وأصحاب رسول الله هم قوم شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل.

عباد الله! إن الله عز وجل افترض على عباده محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسد الطريق إلى الجنة إلا من طريقه صلى الله عليه وآله وسلم، الذي شرح الله صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، وقد قام الصحابة الكرام بلوازم هذه المحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقاتلوا على دينه، ورفعوا رايته، وأعزوا سنته، ونصروا شريعته، حتى وصل إلينا غضاً طرياً.

أخي المسلم! ما فارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حتى دانتِ الجزيرةُ للإسلام، وواصل أصحابه الكرام المسيرة بعده، يفتحون البلاد وقلوب العباد بلا إله إلا الله، وظهرت آيات الصدق والمحبة في أصحابه رضي الله عنهم، فما أحوَجَنا أن نقف على سير سلفنا الصالح، علّها أن تشحذ هممنا في التأسي برسولنا صلى الله عليه وآله وسلم والمسارعة في اتباع سنته، ولزوم شريعته.

ومحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عقد من عقود الإيمان، ولزوم سنته واتباع هديه علامة المحبة الصادقة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنه من أعظم أسباب محبة الله عز وجل.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادك، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعلِ كلمة الدين، اللهم اكتب لنا في هذه الحياة الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعـزائم مغفرتـك، والغنيمـة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والنجاة من النار.

عباد الله! أوصيكم بتقوى الله ومراقبته، ومحاسبة الأنفس، وزنة الأعمال قبل أن توزن.

وصلوا عـلى نبينـا محمـد بـن عبـد الله صـلاةً أبديـةً سرمديـةً مـا دامـت الـدنيا والآخرى، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله الجليل العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

(١٢)

الحسن بن علي رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل لكل نبي شِرْعةً ومنهاجاً، وجعل شِرْعةَ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتمةَ ذلك كلِّه وسراجاً وهَّاجاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به آذاناً صماً، وأعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، فطوبى لمن أمسى باتباع شريعته قرير العين، وويلٌ لمن نبذَ ما جاء به وراء ظهره.

اللهم فصلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل سلام، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود، الذي وعدته يا رب العالمين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

أما بعـــد:

أيها المسلمون! إن في تاريخِ الإسلام رجالاً لم يُعطَوا قدرهم من التعريف بهم وبسيرتهم الحافلة بالبطولات والمواقف التاريخية، وفي هذا الموضوع نتحدث عن واحد من هؤلاء العظماء.. إنه رجل الكثير منا يعرف اسمه، قال عنه الإمام المؤرخ الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: «**هو السيدُ النبيل، الوسيمُ الجميل، العاقلُ الرزين، الجواد..**»، وقال: «**كان ممداحاً، خيّراً، ديّناً، ورعاً، محتشماً، لينَ الشأن...**».

رجلٌ أصلح الله على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين.. أتدرونَ من هو؟

إنه أمير المؤمنين، وسيد شباب أهل الجنة، وحِبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته، وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. إنه الحسن بن

علي رضي الله عنهما، مولده رضي الله عنه على أرجح الأقوال سنة ثلاث من الهجرة النبوية، وكان له من الأولاد خمسة عشر ذكراً، وثمان بنات، وعق عنه صلى الله عليه وآله وسلم بكبشين، وكان مسروراً به حين رآه يشبهه.

كان عليه الصلاة والسلام يحب الحسن رضي الله عنه، ولا يصبر على مفارقته، ومداعبته، حتى إنه ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طائفة من النهار لا يكلِّمني ولا أُكلِّمه، حتى أتى سوقَ بني قينقاع، ثم أتى بيت فاطمة فقال: (**أَثَمَّ لُكَع؟ أَثَمَّ لُكَع؟ فَحبَسَتْهُ شيئاً فظننتُ أنها تُلبسه أو تغسله، فجاء يشتد -مسرعاً- حتى عانقه وقبله، وقال: اللهم أحِبَّه وأحِبَّ من يحبُّهُ**).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحُسين على ظهره، فإذا أراد الصحابة أن يمنعوهما أشار إليهما أن دعوهما، فإذا قضى الصلاة وضعهما في حِجره وقال: (**من أحبني فليحب هذين**)[1].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: (**كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمنا، ثم يقول: الله ارحمهما فإني أرحمهما**)، رواه البخاري.

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تربية الحسن تربيةً إسلاميةً

(١) الصحيحة برقم: (٤٠٠٢).

حسنة، وكان يرعاه رعايةً خاصة، ففي إحدى المرات رأى الحسن وهو يأخذ تمرةً من تمر الصدقة، فنزعها منه وقال: (**إنا لا تحل لنا الصدقة**)، رواه البخاري ومسلم.

تأمل كيف حَرِصَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يطعم أهل بيته إلا حلالاً! مع أنها تمرة واحدة والحسن طفل صغير، ولكنها التربية من الصغر على الورع والدين، ثم انظر حال أكثر الناس اليوم حيث لا يتورعون في مطعمهم ومأكلهم ومشربهم وملبسهم، فلا يهم الواحد منهم شأن أهل بيته، كيف أكلوا؟ ومن أين أكلوا؟ وماذا أكلوا؟

أخي المسلم! عليك أن تربي أبناءك على مكارم الأخلاق، وأن تشارك المسلمين في همومهم، فإن لم تستطع فأقل أحوالك أن تكفي إخوانك المسلمين شرك المستطير، وتصلح أولادك بما ينجيهم من النار.

وفضائل الحسن عليه السلام كثيرة، ومناقبه غزيرة وجليلة المكانة، ولو أن له واحدةً منها لكفته، فكيف وله من الفضائل والمناقب الجم الكثير! فمنها على سبيل المثال لا الحصر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا له فقال: (**اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه**)، صححه الترمذي وسبق بنحوه في الصحيحين.

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**)، وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (**أن**

الحسن سيد شباب أهل الجنة)، كما في صحيح البخاري.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**[1]، ومما ورد في فضائل السبطين: ما رواه ابن ماجة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **(من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)**[2].

وأخرج أحمد عن معاوية رضي الله عنه قال: **(كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمصُّ لسان الحسن وشفتيه، وإنه لن يعذبَ لسانٌ أو شفتان مصهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)**، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **(هما ريحانتاي من الدنيا)**، أخرجه البخاري، وورد عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشتمل الحسن والحسين وأمهما وأبيهما ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣]، رواه مسلم.

هذه بعض فضائل الحسن عليه السلام، ونعمت والله من فضائل! فضائل رجل هو ابن البشير النذير النبي الأمي الداعي إلى الله بإذنه صلى الله عليه وآله وسلم.. هذا رجل من بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.. هذا من

(١) صحيح الجامع برقم: (٣١٨٠).

(٢) صحيح ابن ماجة برقم: (١٤٣).

أهل بيت افترض الله مودتهم وأوجب احترامهم.. هذا هو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيب أصحابه رضي الله عنهم.

فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكنون للحسن رضي الله عنه محبةً وإجلالاً..

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يحب الحسن لشبهه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد لقيه مرة وهو يلعب مع صغار الصبية، فرفعه بين يديه يقبله، وأبوه ينظر إليه، ثم قال فيه وهو يرفعه:

بِأَبي شَبيهٌ بالنبيّ لَيسَ شَبيهاً بِعَليّ

وعليٌ يضحك، رضي الله عنهما وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين.

ومن حب عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسن والحسين أنه فرض لهما مع أهل بدر خمسة آلاف.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى الحسن وهو شابٌ دمعت عيناه، فإذا سُئل قال: (**إذا رأيته تذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**).

ولقيه مرة فأراد أن يقبله فقال: (**أرني أُقَبِّل منك حيث رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقَبِّل، فقال الحسن بقميصه هكذا يرفعه، قال: فقبَّل سرته**)،

أخرجه البخاري ومسلم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاةً وسلاماً على نبينا محمد خير أنبيائه وأصفيائه، وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. أما بعد:

فإن الحديث عن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه أمره ليس بيسير، ولا تكفيه مثل هذه الخطبة، ولكن ذكر بعضها فيه خير، علّ الله أن يجدد فينا العزائم والهمم.

مر الحسن رضي الله عنه على صبيان ومعهم كسرة خبز، فاسْتضافوه فنزلَ فأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم، وقال: (**اليدُ لهم؛ لأنهم لا يجدون شيئاً غير ما أطعموني، ونجد نحن كثيراً منه**).

فيا أخي المسلم! إن وجدت أحداً أصغر منك سناً، وأقل منك قدراً فلا تحقرْه، فقد يكون أسلم منك قلباً، وأقل منك ذنباً، وأعظم منك إلى الله قربة، حتى لو رأيت إنساناً فاسقاً وأنت يظهر عليك الصلاح فلا تستكبر عليه، واحمد الله أن نجاك مما ابتلاه به.

وكأن الحسن رضي الله عنه يريد أن يلقننا هذا الدرس، أما بالنسبة له فإنه سليم القلب والجوارح.

كان الحسن رضي الله عنه كثير الصدقة، حتى إنه سمع مرة رجلاً يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم يسدد بها دينه، فأرسلها إليه.

ومن أعظمِ مواقف الحسن رضي الله عنه التي لم يُـرَ لها نظير: تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ؛ حقناً لدماء المسلمين، فصالح الحسنُ معاوية، فابتهج المسلمون لذلك، وعدوا ذلك العام عاماً مباركاً؛ حيث انتهت الحروب، وحُقِنت دماءُ المسلمين، وعادت الأمور إلى مجاريها، حتى إنه سمي بعام الجماعة.

أيها الناس! إن المتأملَ في سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد أن الله اصطفاهم للصحبة كاصطفاء الأنبياء والرسل للرسالة، ويجد أن الله زكاهم وأشاد بذكرهم، فمن أحبهم فما أحب إلا الخير، وما نفع إلا نفسه، ومن ذمهم فقد وصم نفسه، وبخس حظه، وأضاع نصيبه.

إنهم قوم شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وأقبلوا وقت الإدبار، وعرفوا أوقات الأسحار.. هم قوم خلصت منهم النيات، وصلحت منهم الأعمال، ومات فيهم حب الهوى، وصار مراد الله عندهم هو الشغل الشاغل، ومتابعة المعصوم هو الشأن الأهم.. خرجوا من الأموال فما شفي عليلهم، فخرجوا من الديار فبقي في القلوب لَوْعَة، فخرجوا من أنفسهم:

يَستعذِبون منايَاهم كَأَنَّـهمُ لَا يَخرجُونَ منَ الدُّنيا إذا قُتلُوا

هـم قـوم وقفـوا مـع الـدليل، وسـاروا عـلى الجـادة، وأخـذوا بالحجة.. هجروا التنطع، وتركوا التعمق، وطرحوا التكلف.. فروا من القيل والقال؛ لأن لديهم مهمةَ إصلاح العالم.. هربوا من اللهو؛ لأنهم حملوا أمانة إنقاذ العالم.

قدموا أنفسهم للسيف يوم أن تقرب الآخرون إلى السلاطين من دون الله، وسالت دموعهم من خشيته يوم أسال الآخرون الخمور.. عبدوا الله حق عبادته فذلت لهم جبابرة العالم.

قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن أبا ذر يقول: الفقرُ أحبُّ إليّ من الغنى، والسُّقْمُ أحبُّ إليّ من الصحة، فقال الحسن: (**رحم الله أبا ذر! أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمنَّ شيئاً**).

وخطب الحسن مرة بالكوفة، فكان مما قال: (**إن الحلمَ زينة، والوقارَ مروءة، والعجلةَ سفه، والسفهَ ضعف، ومجالسةَ أهل الدناءة شين، ومخالطةَ الفساق ريبة**).

وكان علي رضي الله عنه يكرم الحسن ويعطيه ويجله، فقال له يوماً: (**ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي رضي الله عنه فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً، وعليٌّ يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف كان علي يقول:** ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران:٣٤]).

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعيم عليه، وكانا إذا طافا بالبيت تزاحم الناس عليهما للسلام عليهما، رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: (**والله ما قامتِ النساء عن مثلِ الحسن بن علي**).

وقد كان صاحب دينٍ عظيم متين، كان إذا صلى الغداةَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، وربما أَتْحفْنَه، ثم ينصرف إلى منزله.

وحَكَى ابن عساكر في تاريخه أن الحسن قاسم الله ماله ثلاث مرات، وحج خمساً وعشرين مرةً ماشياً، وإن النَّجائبَ لتقاد بين يديه.

وكان رضي الله عنه لا ينام حتى يقرأَ كل ليلة شيئاً من القرآن.

وذُكِر أن الحسن رضي الله عنه رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لُقمةً، ويُطعِم كلباً هناك لقمة، فقال له: (**ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحي أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملَّكه الحائط، فقال الغلام: يا مولاي! قد**

وَهبْتُ الحائط للذي وهبتني له)، أي لله تعالى.

رضي الله عنك.. لأنت قدوة القدوات، وسيد السادات، فأين اليوم من يعطف أو يرحم فقراء المسلمين؟

وجاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به فوجده معتكفاً فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقضى حاجته، وقال: **(لقضاء حاجة أخٍ لي في الله أحبٌ إلي من اعتكاف شهر)**.

وكان الحسن رضي الله عنه لا يدعو أحداً إلى طعامه، يقول: **(هو أهونُ من أن يُدعَى إليه)**، ولم يسمع منه فُحْشٌ، وكان مكتوباً على خاتم الحسن بن علي:

قَدِّمْ لنفسِكَ ما استطعتَ مِن التُّقى إنَّ المنونَ لنَازِلٌ بك يَا فَتَى

أصْبَحت ذا فرحٍ كأنَّك لا تَرى أحبابَ قلبك في المقابِر والبِلى

ولما احتُضِر الحسن رضي الله عنه قال: أَخرِجوني إلى الصَّحْن أنظرْ في ملكوت السموات، فأخرجوا فراشه، فرفع رأسه فنظر فقال: **(اللهم إني احتسبت نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس عليَّ)**.

وقال أبو نعيم: لما اشتد بالحسن الوجع جَزِعَ، فدخل عليه رجل فقال له: **(يا أبا محمد! ما هذا الجزع؟! ما هو إلا أن تفارق رُوحُكَ جَسَدَك فتقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جدك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخديجة،**

وأعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك وخالاتك)، فسري عنه.

وقيل: إن القائل لذلك هو أخوه الحسين رضي الله عنهما، فقال الحسن: **(يا أخي! إني أدخل في أمر من أمور الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله)**، فبكى الحسين رضي الله عنهما.

مات حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودفن بالبقيع، واجتُمع لجنازته حتى ضاق البقيع من الزحام.

رضي الله عنك يا أبا محمد! رضي الله عنك يا سيدَ شباب أهل الجنة! رضي الله عنك يا ريحانةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! رضي الله عنك يا حبيبَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

وكانت مدة خلافته ستة أشهر، وكان آخر الخلفاء الراشدين؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة)**[1]، وتوفي سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

أيها المسلمون! اعلموا أنه لا نجاة إلا بفقه سيرة السلف الصالح وتطبيقها

(١) صحيح الجامع برقم: (٣٣٤١).

في الواقع العملي، واعلموا أن الحكايات عن سلفنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جند من جنود الله، يثبت الله بها قلوب أوليائه، فهي خير وسيلة لإشعال العزائم، وإثارة الروح، وقدح المواهب، وإذكاء الهمم، وتقويم الأخلاق، والتسامي إلى معالي الأمور، والترفع عن سفاسفها.. هذه بحار السلف ذكرت منها نقطة فأرعها سمعك، وإن كانت غريبة في عالمنا، وأي شيء عندهم لا يكون اليوم غريباً؟! ولسان حالهم:

تركْنا البِحارَ الزاخراتِ وراءَنا فمِنْ أينَ يدري النَّاسُ أنَّا توجَّهنا

عباد الله! صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه، اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آل نبينا محمد، وأصحاب نبينا محمد، وأزواج نبينا محمد، وعلى أمة نبينا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

اللهم إنا نشهدك أننا نحبك، ونحب رسولك، وأهل بيت رسولك، اللهم إنا نسألك مرافقة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، ووفق المجاهدين لما تحبه وترضاه يا رب العالمين.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.


1

(١٣)

الحسين بن علي ومحمد بن علي رضي الله عنهما

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، واصطفى من ينابيع جودهِ محمداً أكملَ الخلقِ روحاً وعقلاً، وأقومهم بدناً ورسماً، وأعلاهم قدراً وذكراً، وأرفعهم فضلاً ونبلاً، وأشرفهم مجداً وعِزاً، فصلواتُ الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. أما بعد:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أيها المسلمون! هذه صفحات من تاريخ المسلمين تصور ملامح فترة زمنية، وما جرى فيها من الأحداث والوقائع، نأخذ منها العبر والدروس؛ لنستفيد من ماضينا ما ينفعنا في حاضرنا.

وخطبتنا اليوم محزنة أعظمَ ما يكون الحزن، وهي سيرةٌ عظيمة أشدَّ ما تكون العظمة.. أما كونها سيرة عظيمة فلأنها عن صحابي كبير من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. وكيف لا يكون كبيراً ويكون الحديث عنه عظيماً وجده قدوة الخلق، وصفوة البشر، وإمام المجاهدين، ورسول رب العالمين، محمد صلى الله عليه وآله وسلم ! وأبوه رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين.. شهيد الإسلام، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهو شهيد ابن شهيد، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ومن هنا تنبع عظمة سيرة هذا الرجل.

أما كون خبره محزناً أعظم ما يكون الحزن فلأن قتله كان ظلماً وعدواناً.

فمن هو شهيد الإسلام هذا؟ وما هي مناقبه وفضائله؟ وكيف استشهد؟

ذلكم هو الإمام الشريف الكامل، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته من الدنيا، وحبيبه، أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي رضي الله عنهما.

قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم: **(إن الحسنَ والحسينَ هما ريحانتاي من الدنيا..)**[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(حسينٌ مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط)**[2].

وفي الحسين وأخيه الحسن رضي الله عنهما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: **(هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يُحبُّهما)**[3].

قال ابن كثير رحمه الله: «عاصر الحسين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه إلى أن تُوفي وهو عنه راض، وكان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل، فلما استقر الملك لمعاوية كان الحسن يتردد إليه مع أخيه الحسين، فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً».

---

(١) صحيح الترمذي برقم: (٢٧٧٠).

(٢) صحيح الجامع برقم: (٣١٦١).

(٣) صحيح الجامع برقم: (٧٠٠٣).

أخرج الخطيب في تاريخه عن عبد بن حُنين، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: (**صعدت المنبر إلى عمر فقلت: انزل عن منبر أبي -يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم- واذهب إلى منبر أبيك، فقال: إن أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه، فلما نزل قال: أي بني! من علمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد، قال: أي بني! وهل أنبت على رءوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه وقال: أي بني! لو جعلت تأتينا وتغشانا**)، قال الذهبي: إسناده صحيح.

وعن عدي بن ثابت عن البراء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبصر حسناً وحسيناً فقال: (**اللهم إني أحبهما فأحبهما**)، رواه البخاري في صحيحه وهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: (**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطبنا، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله:** ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن:١٥]، **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**)[1].

وعن هانِئ بنِ هانئ، عن علي قال: (**الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين الصدر إلى الرأس، والحسينُ أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله**

(١) صحيح الجامع برقم: (٣٧٥٧).

وسلم ما كان أسفلَ من ذلك).

هذه بعض فضائل الحسين بن علي رضي الله عنه، وهي تدل على مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين رضي الله عنه في السادسة من عمره.

وكان رضي الله عنه مُجابَ الدعوة، ومن ذلك: أن رجلاً من بني تميم يقال له عبد الله بن حَوزة، جاء حتى وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين! يا حسين! فقال له الحسين: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار، فقال له الحسين: كلا! إني أقدم على رب رحيم، وشفيع مطاع، من هذا؟ فقال له أصحابه: هذا ابن حوزة، قال: رب حُزه إلى النار، فاضطرب به الفرس في جدول فوقع فيه، وتعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه بالأرض، فنفر الفرس، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وشجر حتى مات.

ومنها: أن ابن الأزدي كان يمنع الحسين رضي الله عنه الماء، ويقول: يا حسين! ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال له الحسين: **(اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً)**. قال حميد بن مسلم: فعدته في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغر، ثم يعود فيشرب حتى يبغر، فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى مات.

هذه بعض كراماته رضي الله عنه، وما تكون الدعوة مجابة للرجل إلا وهو صاحب دين متين، ولا تجاب الدعوة إلا لمن راقب الله وخافه، وامتثل أوامره

وانتهى عن نواهيه.. لا تكون الدعوة مجابةً إلا لمن كان مطعمُه حلالاً، ومشربُه حلالاً، وملبسُه حلالاً، والحسين كان من أرفع الناسِ قدراً، وأعظمهم منزلة.. كان عابداً خاشعاً، حتى رُوي أنه حج خمساً وعشرين مرة، ولهذا نال ما نال من الفضائل.

وكان رضي الله عنه خطيباً بليغاً، خطب مرة فقال: (**اعلموا أن المعروف يُكْسِب حمداً، ويُعْقِبُ أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه رجلاً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلاً لرأيتموه رجلاً قبيح المنظر تَنْفُرُ منه القلوب، وتَغضُّ دونه الأبصار**).

وكان يدعو فيقول: (**إلهي نعَّمتني فلم تجدني شاكراً، وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنتَ سَلَبْت النعمة لترك الشكر، ولا أدَمْتَ الشدة لترك الصبر، إلهي ما يكون عن الكريم إلا الكرم**).

ومن أقواله المأثورة رضي الله عنه: (**إن الناس عبيد الأموال، والدين لَغْوٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت به معايشهم، فإذا مُحِّصُوا بالابتلاء قلّ الدَّيانون**)، وقال: (**إن خير المال ما وقى العرض**).

ونختم بهذه الكلمات النيرات لمن لهم عقول يعقلون بها، قال رضي الله عنه وأرضاه: (**لا تَتكَلَّفْ ما لا تُطِيق، ولا تَتَعَّرض لما لا تُدرِك، ولا تُعِدْ بما لا تقدر عليه، ولا تُنْفِق إلا قدر ما تستعيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا**

تفرح بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً).

سِبْطَ النبيِّ جزاك اللهُ صالحةً عنَّا وجُنِّبتَ خُسرانَ الموازينِ

منْ لليتامى ومنْ للسائلينَ ومنْ يُغني ويَأويْ إليه كُلُّ مسكينِ

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي رفع لأهل الشهادة أعلى الدرجات، وأجرى على أيديهم الكرامات، فكانوا الباقياتِ الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تُنجيني عند الممات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وبعد:

أيها الناس! إن قتل العلماء والصالحين والأولياء لهو الظلم والعدوان بعينه، وفي هذه اللحظات السريعة نعرج على واحدة من أعظم جرائم الظلم والعدوان.. إنه مقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. إنه مقتل أبي عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهو مما يلفت النظر في سيرته رضي الله عنه وأرضاه.. فكيف كانت حادثة استشهاده رضي الله عنه ؟

أخرج الإمام أحمد بن حنبل بإسناد رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأحدهما: (**لقد دخل عليَّ البيت ملك لم يدخل عليَّ قبلها، قال: إن ابنك هذا حسيناً مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء**)[1].

وقد وقع الأمر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقتل الحسين بالعراق سنة إحدى وستين من الهجرة.. تآمر عليه الملأ، ولم يستحيوا من الله

(١) انظر: الصحيحة برقم: (٨٢٢،١١٧١).

تعالى، ولا من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

مَسَحَ النَّبيُّ جبينَهُ فَلَهُ بريقٌ في الخُدودْ
أبواه مِن عَلْيا قُريشٍ جَدُّه خَيرُ الجُدودْ

إن قاتلي الحسين رضي الله عنه الذين فتكوا به وغدروا ظلماً وعدواناً، قتلوه بعد أن حاصروه، ثم لما رأى الحسين تخلف أهل الكوفة عما دعوه إليه من مناصرته والوقوف بجانب دعوته، طلب ممن حاصروه أن يدعوه ليرجع، أو يلحق ببعض الثغور، أو يلحق بابن عمه يزيد، فمنعوه من ذلك، وأبوا إلا أن يأسروه، فقاتلوه فقاتلهم، فقتلوه وطائفة ممن معه من أهل البيت الكرام.

ولئن كان قتل الحسين رضي الله عنه شراً عظيماً وجرماً وكبيراً؛ فإنه بالنسبة إليه خيرٌ وإكرام، فقد كتب الله له الشهادة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**لما قتل الحسين يوم عاشوراء قتلته الطائفة الباغية الظالمة، وأكرم الله الحسين بالشهادة كما أكرم بها من أكرمَ من أهل بيته، أكرم بها حمزة وجعفر وأباه علياً، وكانت شهادته مما رفع الله بها منزلته وأعلى درجته**»، وكما أكرمه الله تعالى بالشهادة فقد أهان من قتله أو أعان على قتله لعنهم الله.

إن في مقتل الحسين رضي الله عنه مواعظ وعبر، فمن هذه العبر:

الصبر عند وقوع البلاء، لا شق الجيوب ولطم الخدود، وإقامة المآتم، كما

يفعله بعض الجهلة اليوم، وأهل الغي والضلال، من اتخاذ يوم عاشوراء يوماً للأسى والحزن، والندب والنياحة على الحسين، وهذا شيء لم يفعله أهل بيته بعده، ولو كان هذا الفعل صحيحاً لكان جائزاً في غيره من كبار الصحابة، وأولهم أبوه فقد قتل وهو يصلي، وعثمان قتل محصوراً في داره، وذبح من الوريد إلى الوريد، وعمر قتل قائماً يصلي في المحراب؛ بل إنه لم يشرع أن يتخذ الناس يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم -وهو سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة- مأتماً كما يفعله بعض الناس في يوم مقتل الحسين رضي الله عنه.

وقد وقف على الجنب الآخر قوم من المتعصبين على أهل البيت؛ فقابلوا الفساد بالفساد، والكذبَ بالكذب، والشرَّ بالشر، والبدعةَ بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء، فصاروا يتخذون يوم عاشوراء موسماً كموسم الأعياد، ولم يسن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم عاشوراء شيئاً؛ لا الفرح والسرور، ولا الأسى والحزن.

ومن العبر كذلك من سيرة الحسين: أن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، وسبب نزول العذاب في الدنيا، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «**أما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله -يعني الحسين- فأكثرها صحيح، فإنه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة أو عاهة، فلم يخرج أحد منهم من الدنيا حتى أصيب بمرض**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**أما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**»(١).

هذه سيرة رجل من أهل البيت، الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

رحم الله الحسين ورضي عنه وعن أهل بيته الكرام، وأصحاب رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد مات الشهيد في يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين، ولم يعقِّب أحدٌ من أولاده سوى زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله، وكان للحسين إخوة كثر يصلون إلى العشرين، إلا أن أشهرهم الحسن ومحمد بن علي بن أبي طالب الملقب بابن الحنفية، فهؤلاء مشاهير أبناء علي، فأما الحسن فهو الذي لا يجهله أحد، وأما محمد بن الحنفية فهو السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب أخو الحسن والحسين.

قال محمد بن علي عن أبيه: (**كان رخصةً لعلي رضي الله عنه، قال: يا رسول الله! إن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك، وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم**)(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٨٧).

(٢) صحيح الترمذي برقم: (٢٨٤٣).

وقد روى عن أبيه أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رحمه الله زاهداً ورعاً، خفيف اللسان، وكان حكيماً كأبيه، قال رحمه الله: (**من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر**)، وعنه: (**إن الله جعل ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيره**).

ولقد جمع الله عز وجل لأهل البيت شرفَ القرابة، وشرفَ الصُّحبة، فهنيئاً لهم.

أخي المسلم! إن شرف الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تابعٌ لشرفِ الإيمان، فمن لم يوفق للإيمان لم ينفعْه شرفُه ولا نسبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فمن شرفه الله بهذا النسب فلا يتكل عليه، وليحمد الله على هذا الشرف، وليسارع في الخيرات، ومن لم يشرفه الله بهذا النسب فليسأل الله أن يوفقه لأن يكون من أصحاب الدرجات العلى في دار الخلد، وأن يوفقه للعمل الصالح، فالعمل الصالح هو الميزان الرباني، وليحبهم ويحترمهم، فالمرء مع من أحب.

رحم الله ساداتِ أهل البيت الكرام، ورضي عنهم، ورضي الله عن أمهات المؤمنين، وأصحاب خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

اللهم صلِّ على محمد وآل بيته وأزواجه وذريته، كما صليتَ على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل بيته وأزوجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم إنا نشهدك أننا نحب نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وأصحابه الكرام، اللهم فاجمعنا بهم في دار كرامتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم نوِّر على أهل القبور من المسلمين قبورهم، واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم، اللهم تب على التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، واشف مرضانا ومرض المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لجميع المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم، وعافهم واعف عنهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المسيح الدجال، وفتنة المحيا والممات.

عباد الله! اذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.


1

(١٤)

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بمواد العناية، ويسَّر لهم تفصيل مجملات أنبائه بتكثير أسبابِ الهداية، وألهمهم الاعترافَ بعدم الإحاطةِ بحصر نَعمائه التي لا تُدْرَكُ لها غاية، وأعجزَهم عن استيعاب شكرِ آلائه وإن اتسعت الدراية والرواية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً منوطةً باليقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير خلقه أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

أما بعد:

فيقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، فقد طهر الله أهل البيت تطهيراً، وجملهم بالأخلاق صغيراً وكبيراً، فكانوا للسالكين إلى الله سراجاً منيراً، وقمراً مستنيراً.. فيا باغي الأخلاق هذا سمتهم.. ويا طالبَ الآدابِ لا تَغِبْ عن هديهم.. ويا قاصدَ المعرفةِ هذا علمهم.

من أجل ذلك أحببتُ أن أتحفَكم في خطبة اليوم -بإذن الله- بشيء من سيرة سيد من ساداتهم، وحبرٍ من أحبارهم، وإمام من أئمتهم.. هو اللَّقِنُ المعلَّم، والفطن المفُهَّم.. فخر الفخار، وبدر الأحبار، والبحر الزخار، والعينُ المدرار.. مفسِّرُ التنزيل، ومبينُ التأويل.. المتفرسُ الحساس، والوضيءُ اللباس.. مكرمُ الجلَّاس، ومطعم الأُناس: عبد الله بن العباس، ابن عم رسول الجِنة

والناس صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد أمسك هذا الإمام النبيل والصحابي الجليل المجد من أطرافه؛ فقد نال شرف الصحبة، وكفى بها من منزلة عَلِيَّة، ومكانة سَنِيَّة، لا يصل إليها أحدٌ إلى يوم الدين بعد موت سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

كما حاز منزلة القرابة؛ فهو ابن عم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن آل بيته الأطهار.

كما ظفر بمجد العلم؛ فهو حبر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبحر علمها الزخَّار.

كما فاز بمجد التقى والورع؛ فقد كان قوَّام الليل صوَّام النهار، متضرعاً بكَّاءً من خشية الله الواحد القهار.

ولد ابن العباس قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولما توفي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان له ثلاثَ عشرةَ سنة فقط، ومع ذلك فقد حفظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وستمائة وستين حديثاً، أثبتها البخاري ومسلم إماما المحدثين، ومرجع العلماء المحققين، في صحيحيهما اللذين اتفقت الأمة وأجمعت الأئمة على أنهما أصح الكتبِ بعد كتاب الله.

ذلك أنه لما وضعته أمه حملته إلى ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم، فحنَّكهُ

بِريقه، فكان أول ما دخل جوفه رِيقُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المبارك الطاهر، ودخلت معه التقوى والحكمة.. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، ونشأ رضي الله عنه في بيوت النبوة، بين أكناف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخالته أم المؤمنين ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلازم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملازمة العين لأختها، فكان يُعِدُّ له ماء وضوئه إذا هم أن يتوضأ، ويصلي معه إذا وقف للصلاة من الليل، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يردفه خلفه إذا عزم على السفر والتنقل، حتى غدا له كظله يسير معه أنَّى سار، ويدور في فلكه كيفما دار.

وهو في كل ذلك يَحمِل بين جنبيه قلباً واعياً، وذهناً صافياً، وحافظةً دونها كل آلات التسجيل التي عرفها العصر الحديث.

دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد صح عنه رضي الله عنه قوله: **(ضمَّني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه وقال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب)** رواه البخاري، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **(إن عمر دعا ابن عباس رضي الله عنهما وقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاك يوماً فمسح رأسك، وتفل في فيك، وقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)**، رواه البخاري ومسلم.

وكان إعجابُ عمر بن الخطاب بابن عباس يزداد كلَّ يوم، حتى إنه كان

يقول عنه: (**ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول**). وبذلك صار حبر الأمة، وبحر الأمة، وموسوعتها الحية، حتى أجمعت العلماء على أنه كان ترجمان القرآن، ونعم ما وصفه به ابن عمر رضي الله عنهما إذ قال: (**ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد**)، وقال عنه محمد ابن الحنفية وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (**كان ابنُ عباسٍ حبرُ هذه الأمة**).

كما قال عنه الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما: (**إن ابن عباسٍ كان من القرآن بمنزل**).

ذلك أنه مع دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له سلك إلى العلم كل سبيل، وركب من أجله الصَّعْبَ والذَّليل، وظل ينهل من معين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما امتدت به الحياة، فلما لحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بجوار ربه اتجه إلى البقية الباقية من علماء الصحابة، وطَفِقَ يأخذ منهم ويتلقى عنهم، ولم يمنعه نسبه الرفيع وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ من غيره، فكان يذل نفسه في طلب العلم، وفي المقابل كان يعلي قدر العلماء، فقد كان يأتي زيد بن ثابت رضي الله عنه ويتوسد رداءه عند عتبة بابه والرياح تَسفُّه بالتراب، فإذا خرج زَيدٌ وهمَّ بركوب دابته، وقف ابن عباس وأمسكَ له ركابه وأخذَ بزمامِ دابته، فيقول له زيد: (**دع عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! فيقول: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال له زيد:**

أرني يدك، فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا)، وكان يحب الشيخين أبا بكر وعمر، ويهتم بعلومهما، حتى قال عبد الله بن عتبة: **(ما رأيت أحداً أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم من ابن عباس رضي الله عنهما)**.

أيها المؤمنون! وقد غدا ابن عباس بفضل علمه وفقهه مستشاراً للخلافة الراشدة على الرغم من حداثة سنة، فكان إذا عرض لعمر بن الخطاب فاروق هذه الأمة رضي الله عنه أمراً وواجهته مُعضِلة -وهو الإمام المحدَّث الملهم- دعا جلّة الصحابة، ودعا معهم إمامنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فإذا حضر رفع منزلته، وأدنى مجلسه، حتى عُوتِب مرة في تقديمه له وجعله مع الشيوخ وهو ما زال فتى، فقال: **(إنه فتى الكهول، وله لسانٌ سؤول، وقلبٌ عقول)**.

ولما كمل لابن عباس ما طمح إليه من العلم تحول إلى معلم يعظ العامة، ويعلم الخاصة، حتى أصبح بيته جامعةً للمسلمين بكل ما تعنيه الكلمة في عصرنا، يُدَرَّس فيها كل العلوم، غير أنها تقوم كلها على أكتاف مدرِّسٍ واحد، هو حبر الأمة، وترجمان القرآن والسنة.

روى أحد أصحابه قائلاً: **(لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش افتخرت به لكان لها مفخرة، فلقد رأيت الناس اجتمعوا في الطرق المؤدية إلى بيته**

حتى ضاقت بهم، وسدوها في وجوه الناس، فدخلتُ عليه وأخبرته باحتشاد الناس، فقال: ضع لي وضوءاً، فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل، فخرجت وقلت لهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر، ثم قال لهم: أَفسِحوا الطريقَ لإخوانكم، فخرجوا، ثم قال لي: اخرج فأَدْخِل من أراد أن يسأل عن القرآن وتأويله فليدخل، فدخلوا، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليدخل، فدخلوا، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال: من أراد أن يسأل عن الفرائض فليدخل، فدخلوا، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال: من أراد أن يسأل عن العربية فليدخل، فدخلوا، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم).

ثم رأى ابن عباس الحَبرُ تقسيم العلوم على الأيام؛ حتى لا يحدث في بابه مثل ذلك الزِّحام، فكان يجلس يوماً للفقه، وآخراً للتأويل والتفسير، وثالثاً للمغازي، ورابعاً للشعر وأيام العرب.. وخامساً وسادساً، وما جلس إليه عالم إلا خضع له، ولا سأله سائل إلا وجد عنده علماً.

ومع ذلك لم ينس ابن عباس رضي الله عنهما حين انصرف إلى الخاصة ليعلمهم ويفقههم حق العامة عليه، فكان يعقد لهم مجالس الوعظ والتذكير؛ فَتذرِفُ العيون، وتخشع القلوب لعلَّام الغيوب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده عددَ خلقهِ ورضا نفسِه وزنةَ عرشِه ومدادَ كلماتِه، ونسألُه من فضلِه ولا نعوِّل إلَّا عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

أيها المؤمنون عباد الله!

لم يكن ابن عباس رضي الله عنهما ذا ذاكرةٍ قويةٍ خارِقةٍ فقط؛ بل كان صاحب ذكاءٍ نافذ، وفِطرة بالغة، وحجةٍ دامغة، كانت حجته إذا حاجج مثل الشمس في رابعة النهار بَهجَةً ووضوحاً وتألُّقاً. وما كان يحاور ويحاجج زهواً بعلمه، ولا إظهاراً لقوة منطِقه، وصلابة موقفه، بل كان يرى ذلك سبيلاً لإظهار الحق ومعرفة الصواب، وقد عرف ذلك ابن عمه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجهه إلى الخوارج لما خرجوا عليه وكفَّروه، فحاورهم حِواراً رائعاً، بيَّنَ فيه الحق، وساق الحجة بما يَبْهَرُ الألباب، فما كاد النِّقاش ينتهي حتى نهض منهم عشرون ألفاً راجعين عن خروجهم على أمير المؤمنين الإمام علي رضي الله عنه، منقادين له، مذعنين بأحقيته فيما سار إليه.

ولم يكن ما للحَبر ابن عباس من الثروة العلمية بأقل مما له من ثروة الخلق والكرم، وسخاؤه بالمال لم يكن بأقل من سخائهِ بالعلم، يقول عنه أحد أصحابه:

(ما رأيت بيتاً أكثر طعاماً ولا شراباً ولا فاكهة ولا علماً من بيت ابن عباس رضي الله عنهما).

تَخلَّق ابن عباس بأخلاقِ الإسلام، وتمثَّل آدابَ علمائه الكرام، كبقية آل البيت العظام، والصحابة الكرام.. فكان طاهر القلب، نقي النفس، لا يحمل ضِغْناً لإنسان، يتمنى الخيرَ لكل مخلوقٍ، يقول رضي الله عنه عن نفسه: **(إني لآتي على الآية من كتاب الله فأودُّ لو أن الناس جميعاً علموا مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط، فأفرح به وأدعو له، ومالي عنده قضية، وإني لأسمع بالغيث يصيب للمسلمين أرضاً فأفرح به، وما كان لي بتلك الأرض سائمة).**

ولئن قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، فإن ابن عباس لمن أشد الناس خشيةً لله جل جلاله، وأكثرهم تعبداً وتضرعاً، وأغزرهم بكاءً إذا صلى أو قرأ القرآن.

فأبداً لم يكن من الذين يقولون ما لا يفعلون، وإنما صوَّاماً لنهاره، قوَّاماً لليله، مستغفراً بالأسحار، مبتهلاً إلى الرحيم الغفار.

حدث عبد الله بن أبي مليكة فقال: **(صحبتُ عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **من مكةَ إلى المدينة، فكنا إذا نزلنا منزلاً قام شطرَ الليل والناس نيام، ولقد رأيته ذات ليلة يقرأ:** ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩]، **فظل يُكرِرُها ويَنْشُج حتى طلعَ عليه الفجر).**

وعن أبي رجاء قال: (**رأيتُ ابن عباس رضي الله عنهما وأسفلَ من عينيه مثل الشِّرَاك البالي من البكاء**).

ولقد عُمِّر ابن عباس رضي الله عنهما إحدى وسبعين سنة، ملأ فيها الدنيا علماً وفهماً وحكمةً وتقى، فلما أتاه اليقين صلى عليه ابنُ ابن عمه، الإمام محمد ابن الإمام علي بن أبي طالب، المعروف بمحمد بن الحنفية، مع البقيةِ الباقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجُلَّة التابعين، وقال فيه محمد بن الحنفية: (**اليومَ مات ربانيُّ هذه الأمة**).

وبينما كانوا يوارونه في التراب إذ سمعوا صوتاً يقول: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر].

فرحم الله حبرَ الأمة عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان على نهج ابن عمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سائراً، وكان إماماً من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

أيها المؤمنون! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب]، اللهم فصلِّ وسلم وبارك على إمام الحنفاء، وسيد الأنبياء، وقدوة الأتقياء، وأصفى الأصفياء، محمد المصطفى، وآله وصحبه بدور الدجى.

اللهم إنا نستمد بك المنحة كما نستدفعُ بك المحْنَة، ونسألك العِصمَة كما نستوهِب منك الرحمة.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ويسِّر لنا العمل كما علمتنا، وأوزعنا شكر ما آتيتنا، وانهج لنا سبيلاً يهدي إليك، وافتح بيننا وبينك باباً نَفِدُ منه عليك، لك مقاليد السموات والأرض، وأنت على كل شيء قدير.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والملحدين، ودمر أعداء الدين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

(١٥)

زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أحصى كل شيءٍ عدداً، ورفع بعضَ خلقه على بعض فكانوا طرائق قدداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ولن يكون أبداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أكرم به عبداً سيداً! وأعظم به حبيباً مؤيداً! فما أزكاه أصلاً ومحتداً! وأطهره مضجعاً ومولداً! وأكرمه آلاً وأصحاباً! كانوا نجوم الاهتداء، وأئمة الاقتداء، صلى الله عليه وعليهم صلاة خالدة وسلاماً مؤبداً.

أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

أيها الناس! هذه سيرة رجل كان أعبد أهلِ زمانه، حباه الله من الأخلاق ما لم يجتمع إلا لعظماء الرجال.. عَبَدَ الله فأخلص العبادة حتى لقَّبه أهل زمانه زين العابدين.. أبوه شهيد، وجده خليفة.. أتدرون من هو؟

إنه أبو الحسين زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.. هو البقية الباقية، وفيه البيت والعدد والخلافة، قُتل جميعُ إخوته في كربلاء وبقي هو، وكان يومئذٍ مَوعُوكاً، فلم يقاتل ولا تعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرمه يزيد ورده مع آله إلى المدينة.

وكان يوم كربلاء في الثالثة والعشرين، وعاش بعد ذلك خمساً وثلاثين سنة، كلها مليئةٌ بالكرم والإحسان والعبادة.. كان رحمه الله من العلماء العاملين، حتى قال عنه الزهري كما في سير أعلام النبلاء: «**ما رأيت أفضل من علي بن الحسين**»، وكان من الفضلاء التابعين.

كان رحمه الله يجالس الموالي ممن له سبق في الإسلام وهو يقول: **(إنما يجلس العاقل حيثُ ينتفع)**، وكان يجالس العلماء، حتى قيل له مرة وهو يجلس في حلقة زيد بن أسلم: **(أتجالس هذا العبد؟ فقال: العلم يُطلَب حيثُ كان)**، وكان خلفاء بني أمية الكبار يحبونه ويحترمونه.

ذكر ابن الجوزي في صِفةِ الصَّفْوة عن عبد الرحمن بن حفص القُرشي، قال: «**كان علي بن الحسين إذا توضأ يَصْفَرُّ، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟!**».

وعن عبد الله بن أبي سالم قال: **(كان علي بن الحسين إذا مشى لا تُجَاوِزُ يَده فَخِذه، ولا يَخطُر بيده، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدة)**.

ووقع مرَّة حريقٌ في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار! يا ابن رسول الله النار! فما رفع رأسه حتى أُطفِئت، فقيل له: **(ما الذي دهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النارُ الأخرى)**.

وعن مالك قال: «**أحْرم علي بن الحسين، فلما أراد أن يلبِّي قالها فأغمي عليه، فسقط من ناقته فَهُشِم، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات**». وكان يسمى زين العابدين لعبادته.

رحمك الله يا ابن الحسين! كان يسمى ذا الثَفِناتِ، وكانت ركبتاه كثَفِناتِ البعير.

وعن طاوس قال: سمعت علي بن الحسين وهو ساجد يقول: (**عُبيدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، قال: والله ما دعوت بها في كرب قط إلا كُشف عني**).

مَناقبٌ كنجومِ اللَّيلِ طاهرةٌ قَد زَانها الدِّينُ والأَخلاقُ والشِّيَمُ

كان رحمه الله شديد الحرص على التعلم؛ حتى إنه كان يجالس الموالي لأجل طلب العلم، وكان يقول: (**آتي من أنتفع بمجالسته في ديني**).

قال عنه الزهري: «**وما رأيت أحداً أفقه منه، ولكنه كان قليل الحديث**».

أما عِنايته بالفقراء والمساكين فهي لا تكاد تُوصَف.. كان إذا أتاه السائل رَحَّب به، وقال: (**مرحباً بمن يحمل زادي إلى الدار الآخرة**).

وكلَّمَه رجل فافترى عليه، فقال: (**إن كنا كما قلتَ فنستغفرُ الله، وإن لم نكن كما قلتَ فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبَّل رأسه وقال: جُعِلتُ فداك! ليس كما قلت أنا، فاغفر لي، قال: غفر الله لك، فقال الرجل: الله أعلم حيثُ يجعل رسالته**).

وكان علي بن الحسين يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يقوم بمائة أهل بيت بالمدينة، فعن محمد بن إسحاق قال: «**كان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشُهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤتَون به بالليل**».

فلقد كان علي بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به يتمثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**صدقةُ السر تطفئُ غضب الرب عز وجل**)[1].

رحمك الله يا زين العابدين! يتهمونك بالبخل وأنت تُخفي الصدقات وتحملها إلى البيوت ليلاً، حتى يُؤثِّر فيك جِرابُ الدقيق! لقد قَرَنْتَ التهجُّد بالصدقات.

ولما مات علي بن الحسين وغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سوادٍ في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جِراب الدقيق ليلاً على ظهره، يعطيه فقراء أهل المدينة.

ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال: (**ما شأنك؟ قال: عليَّ دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: فهو عليَّ**).

وكان كثير الدعاء رضي الله عنه، وكان يقول في بعض أدعيته: (**اللهم إني أعوذ بك أن تَحسُن في لوائحِ العيون علانيتي، وَتقْبُحَ في خفيات العيون سريرتي، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ فإذا عدتُ فعُد علي**).

وكان يدعو فيقول: (**اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلى**

(١) صحيح الجامع برقم: (٣٧٥٩).

المخلوقين فيضيعوني).

وكان زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما كثيرَ البِر بأمه، حتى قيل له: **(إنك من أبرِّ الناس بأمك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتُها).**

وكان إذا سار في المدينة على بغلته لم يقل لأحد: الطريق، ويقول: «هو مشتَركٌ ليس لي أن أُنحِّيَ عنه أحداً».

ومن أدبه رضي الله عنه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه أتاه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قال: **(أنتم المهاجرون الأولون** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]**؟ قالوا: لا. قال: فأنتم** ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]**؟ قالوا: لا. قال: أما أنتم فقد تبرأتم من أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠] **اخرجوا).**

ومن أدبه رحمه الله: أنه حصلت بينه وبين ابن عمه الحسن بن الحسن رحمه الله موجِدة، فما ترك الحسن قولاً إلا قاله، لكن زين العابدين جاءه ليلاً واعتذر إليه، مع أنه لم يَسُبَّ، فعاتبه الحسن وبكى حتى رُثِي لبُكائِه.

هذه نُبَذ من آداب زين العابدين، التي هي عنوان سعادته وفلاحه، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب.. وإن من الأدب بل هو كل الأدب حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، واحترامهم وتوقيرهم، فإن الله لم يصطف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا اصطفى معه أهل بيته وأصحابه إلا وهم لذلك أهل، وجعلهم الأنموذج الذي يقتدى بهم.. كيف وهم حملة الشريعة، والمبلغون عن رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم ! كيف والقرآن طَهَّر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزكى أصحابه أيما تزكية! والله يعلم حيث يجعل رسالته.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل لهذه الأمة رجالاً بهم يُقتَدى، محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خيرَ الخلق وأكرمَهم يداً، كما جعل لنا القدوة من بعده في أهل بيته الطاهرين، وأصحابه الراشدين، والعلماء الربانيين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أيها الناس! إن سيرة زين العابدين وأهل البيت الكريم سيرةٌ عَطِرة، فيها العظةُ والعِبرة، كيف وهي كل الأدب والأخلاق، والرفعة والسمو، والمجد والعزة! إن من لم يعرف زين العابدين فقد خفي عليه رجل عظيم.. كيف لا يَعرِفُ رجلاً أطبقت على حسن سيرته كتب التاريخ، ودواوين أهل الإسلام.. فهو سمير الزهاد، ونبراس المتهجدين، وزفرات التالين.. قال الفرزدق:

هذا الذي تَعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ
إذا رَأته قُريشٌ قال قائلها: إلى مكَارم هذا يَنتهي الكَرمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كُنتَ جَاهِلَهُ بجدِّه أنبياءُ الله قَد خُتمُوا
إنْ عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتَهم أو قيلَ من خيرُ أهلِ الأرض قيلَ همُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمُ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
يُنمى إلى ذروةِ العزِّ التي قَصُرتْ عن نَيلِهَا عَربُ الإسلامِ والعَجمُ

من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهم كفرٌ وقربُهم منجَى ومُعتصمُ
وليسَ قولُك من هذا بضائرِه العُرْب تعرفُ من أنكرتَ والعَجَمُ

قال الفرزدق هذه القصيدة يوم أن حجَّ علي بن الحسين، فما أن سمع الناس باسمه حتى فتحوا له الطريق، فقال يومها هشام بن عبد الملك: من هذا؟ فكانت القصيدة التي أعْرب بها الفرزدق عن مدى حب الناس لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تَرى المحبين صَرْعَى في ديارِهمُ والحبُّ يقتلُ أحياناً بِلا قَوَد

إن زين العابدين رحمه الله كان عالي الهمة في عبادته الفعلية والقولية، فقد كان كثيرَ الركوع والسجود والإنفاق في سبيل الله.. كيف والعبادة على رءوس العُبَّاد أحلى من التيجان على رءوس الملوك! إذا سَئِم البطَّالون من بَطَالتِهم، فلن يسأم العُبَّاد من عبادة ربهم ومناجاة خالقهم.

رحم الله رجالاً نصبوا أبدانهم لخدمة مولاهم، وكابدوا العبادة حتى استمتعوا بها.

إن زينَ العابدين ما لُقِّب بهذا اللقب إلا وهو قد بلغ منزلةً عاليةً ورفعةً ساميةً في بساتين العبادة.

إن زينَ العابدين ضَربَ أروع الأمثلة لمن أراد الإخلاص في الصدقة،

وإطعام الأيتام والفقراء والمساكين، فيا مسلم! أرأيت رجلاً يقوم بالسؤال عن الفقراء والمساكين وإيصال ما يحتاجونه إليهم؟!

زهدَ الزاهدونَ والعابدونَ إذْ لمولاهم أجَاعوا البطونا
أَسْهروا الأَعينَ القريحةَ فيهِ فمضى لَيلُهم وهُم ساهِرونا

إن زين العابدين وأهل البيت رحمهم الله لم يكتفوا بالعبادة فقط؛ بل جمعوا بجانبها الزهد، ورواية حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفقه، وحفظ القرآن، والجهاد، والفروسية، ولو أردنا أن نذكر أخبار العُبَّاد وعبادتهم لاستغرق ذلك المجلدات.

فيا مسلمون! أين منا صوامُ النهار ورجال الليل؟ أين ابن أدهم والفضيل وعلي بن الحسين؟ ذهب الأبطال وبقي كل بطَّال.. ذهب السادة وبقي قرناء الحشاء والوِسادة.

نَزلوا بمكَّةَ في قبائِل هاشمٍ وَنزلْتُ بالبيداءِ أَبعَدَ مَنْزِلِ

لقد مات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.. مات زين العباد والزهاد.. مات من نصر الدين، وذب عن حياض المسلمين.. مات شيوخ الإسلام وأعلام أهل البيت الكرام.. مات من خدم هذا الدين، وبقينا نحن.. والسؤال هو: ماذا قدمنا نحن لله ولدينه أولاً، ولأنفسنا وللمسلمين ثانياً؟ هل اقتدينا بهم وسرنا ذلك المسير الذي سار فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم، من المحبة والصدق، والتفاني لأجل هذا الدين؟ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

وخلاصة الأمر، وغاية المرام: أن أمر هذا الدين لا يصلح إلا بما صلح به أمر أوله؛ من الصدق في القول والعمل، والمتابعة الصحيحة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتجرد عن الهوى، والسير في خُطا الأماجد.

عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومراقبته، واقتفاء أثر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى أهل بيته الطاهرين، والصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والمشركين، اللهم ارفع علم

الجهاد، واقمع أهل الزيغ والفساد.

عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

(١٦)

الإمام الباقر وابنه جعفر الصادق رضي الله عنهما

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل النظر في أخبار من غَبَرَ من أعظم العِبر، والصلاةُ والسلامُ على صفوةِ الصفوةِ مِن البَشر، وعلى آله الأطهار كما صح بذلك الخبر، وعلى أصحابه الذين أرغم الله بفضائلهم وفواضلهم أنوف من كفر.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعـــد:

فيقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف:١١١].

أيها المسلمون! ما قرأتُ ولا سمعتُ بسيرة العِترة النبوية، من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير البرية، إلا استروحْتُ لها شَذاً وعِطراً، ونَزَاهَةً عن كل قولٍ مهين، وعن كل فعل مشين.. كيف لا وقد طهرهم الله تطهيراً! قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

ومن شَجرة آل البيت الباسِقة الأغصان، الوارِفَة الظِلال، نُسَلِّط الضوء في هذه الخطبة -إن شاء الله- على غُصنين من أغصانها، شَذا عِطرهما يفوح، ونور عِلمهما يغدو ويروح.. هما: أبو عبد الله جعفر الصادق، وأبوه أبو جعفر محمد الباقر، ابن شامةِ الزاهدين زينِ العابدين علي بن سبطِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته، وأشبه الناس به، سيدِ شبابِ أهل الجنة، أبي عبد الله الحسينِ بنِ أمير المؤمنين، الإمام المبجل، والخليفة الرابع المعظَّم، علي بن أبي طالب، وابنِ الزهراء البتول بنت النبي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

نَسبٌ كأنَّ عليهِ من بدرِ الدُّجىَ نُوراً ومِن فلقِ الصَّباح ضِياءَ

فدونكم هذه الشذرات الفوَّاحة، فأرْعُوني قلوبكم قبل أسماعكم؛ لأنكم أمام إمامين جليلين، ليس لهم مكان من القلب إلا في سُويدائه، ولا من الفؤاد

إلا في أحشائِه، كسائر أهل البيت الفُحُول، والصحابة العدول.

أما الأول: فهو الإمام الباقر، من كبار علماء التابعين، كان إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن، جليل القدر، عظيم المنزلة، اتفق الحفاظ على الاحتجاج به، وعده المحدثون من فقهاء التابعين العظام، وأئمتهم الكرام.

وقد بلغ من العلم درجةً عاليةً سامية، حتى إن كثيراً من العلماء كانوا يرون في أنفسهم فضلاً وتحصيلاً، فإذا جلسوا إليه أحسُّوا أنهم عِيالٌ عليه، وتلاميذٌ بين يديه، ولذلك لُقِّب بالباقر: من بَقَر العلم أي شَقَّه، واستخرج خفاياه، وقد كان إلى جانب علمه من العاملين بعلمهم؛ فكان عفَّ اللسان، طاهرَ الجنان، وقد سأله مرة سالم بن أبي حفصة -وكان معه ابنه جعفر الصادق- عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «**يا سالم! أَحْبِبْهما وابْرأ إلى الله من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى**».

وروى إسحاقُ الأزرق، عن بسَّام الصَيرفي قال: سألت أبا جعفر محمداً الباقر عن أبي بكر وعمر، فقال: «**والله إني لأتولاهما وأستغفرُ لهما، وما أدركتُ أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما**». وهذا قول ساطِع، يكشف عن إيمان عميق لهذا الإمام العالم العامل.

كما كان رضي الله عنه زاهداً عابداً كسائر أهل البيت والصحابة الكرام من الرَّعيلِ الأول، الذين كانت العبادة والزهد أهم السِّمات وأبرز الصفات التي

تظهر فيهم بجلاء، وتبدو للناظرين في سيرتهم، فقد كان وِرْدُ الإمام الباقر رضي الله عنه في الليل والنهار مائةً وخمسين ركعة.. لم يركن إلى نسبه، ولا خَلَدَ إلى حَسبِه، بل شمَّر واجتهد، وتعبَّد وزهِد.

وكان يقول: «**هل الدنيا إلا مركبٌ ركبتُه، وثوبٌ لبسته**».

وقال يوماً لجلسائه: «**أَجْمِعَ بنو فاطمة أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون القول**».

وقد تزوج من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تزوج بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وقال وهو يعاني سكرات الموت رحمه الله: «**اللهم إني أتولى أبا بكر وعمر، اللهم إن كان في نفسي غير هذا فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم**».

وسئل مرَّةً عن حِلية السيف من الذهب، فقال: «**نعم. كان الصديق رضي الله عنه يحلي سيفه، فقال السائل: أتقول الصديق؟! قال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، من لم يقل الصديق فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة**».

أيها المؤمنون عباد الله!

ولقد كان الإمام أبو جعفر الباقر رضي الله عنه في غاية التواضع، مع علو

شأنه، ورفعة مكانه، وكان يحتقِر المتكبرين، ويقول: «**ما دخل قلب امرئٍ شيءٌ من الكبر إلا نَقص عَقْلُه مقدار ذلك**».

كما كان الإمام الباقر -رفع الله درجته، وأعلى مكانته- آيةً في الصبر، وقدوةً في الرضى بما قدره الله وقضى. فلقد مرض ولد له يوماً، فجزع عليه وهو مريض، فلما توفي الابن كفَّ عن الجزع وصبر، فلما سئل عن ذلك قال: «**كنت في مرضه أدعو الله له، فلما توفي لم أخالفِ الله فيما أَحَبَّ، فصبرت ورضيت**».

تلكم بعض المكارم النبوية، والأخلاق المصْطَفَوِيَّة، والشمائل المحُمدِية، التي ورثها الإمام الباقر عن جده المصطفى النبي المرتضى صلى الله عليه وآله وسلم.

وما زال بها متحلياً، وإليها داعياً، حتى وَدَّع الدنيا، ولكن بعد أن صَبَغ بهذه الصفات الحميدة ابنه الإمام جعفر الصادق، فقد كان كأبيه بسنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم متأسياً، وبسيرة الصحابة الكرام مهتدياً، وبأخلاق آل البيت العظام متحلياً.

أيها المؤمنون! لقد ولد الإمام الصادق سنةَ ثمانين، ورأى بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

كان من أجل علماء المدينة، وقد بلغ من العلم ذروته، ومن الفهم أعلى شأوته؛ ولذلك حدث عنه الأئمة النجباء، ووثقه فحول العلماء.

وسئل أبو حنيفة رضي الله عنه وهو الفقيه المشهور، الذي قيل فيه: الناس في الفقه عِيالٌ على أبي حنيفة. سئل: من أفقه من رأيتَ؟ فقال: «**ما رأيتُ أحداً أفقهَ من جعفر بن محمد، هيَّأْتُ له أربعين مسألةً من الصِّعَابِ، ثم أتيت أبا جعفرٍ وجعفرٌ جالسٌ عن يمينه، فلما أبصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي فجلستُ، ثم الْتَفَتَ إلى جعفر فقال: يا أبا عبد الله! أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم قال: يا أبا حنيفة! هاتِ من مسائلك نسأل أبا عبد الله، فابتدأت أسأله، فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا. فربما تابعنا، وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخْرِم منها مسألة، ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!**».

يا له من وسامٍ عالٍ كبير، من فقيهٍ متبحرٍ نحرير!

وقد كان الإمام جعفر الصادق عليه هيبةُ العلماء، وسِمةُ سُلالة الأنبياء، حتى هابه إمام الفقهاء، أعني أبا حنيفة النعمان.

وقال عمرو بن أبي المقدام: «**كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد عَلِمت أنه من سُلالة النبيين**».

وقد كان الإمام الصادق يغضَب من الرافضة، ويَمْقُتُهم إذا علم أنهم

يتعرضون لجدِّه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كانت أم الصادق هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان الإمام الصادق يقول: «**ولدني أبو بكر الصديق مرتين**»، فجدُّه لأبيه علي بن أبي طالب، وجده لأمه أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وهو نسب لم يجتمع لأحد غيره. وقد كان يحب جده أبا بكر، ولما قال له زُهير بن معاوية: إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر، قال الإمام الصادق: «**برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، ولقد اشتكيتُ شِكايةً فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم**».

ألا فَشَاهت وجوهُ الرافضة الذين يفترون الكذب عليه، وينسبون الإفك إليه! وما كان له إلا أن يمتثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠].

بل إنه قال لسالم بن أبي حفصة: «**يا سالم! أيسُبُّ الرجل جدَّه؟! أبو بكر جدِّي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما**»، وقال: «**برئ الله ممن تبرَّأ من أبي بكر عمر رضي الله عنهما**». قال الذهبي: «وهذا القول متواتر عن جعفر الصادق، وأشهد بالله إنه لبارٌّ في قوله، غَير منافقٍ لأحد، فقبَّح الله الرافضة!».

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله مُجزِلِ العطاءِ لمن أطاعه ورجاه، شديدِ العقابِ لمن تمرد عن طاعته واتبع شيطانَه وهواه، نحمده على عظيم كرمه وجزيلِ عطاه، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وسلم. وبعد:

فمع ما كان عليه الإمام جعفر الصادق من العلمِ الغزير، والفقه الكثير، والفَهمِ الكبير؛ إلا أنه كان في غاية التواضع، ممتثلاً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، وهذه عادة العلماء، وسجية النجباء، ووصية الأنبياء والحكماء.

مَلْأَى السنابلِ تَنْحنِي بتواضُعٍ والفارغَاتُ رُءوسُهنَّ شَوَامخُ

عن أيوبَ قال: سمعت جعفراً يقول: «**إنَّا والله لا نعلم كل ما يسألوننا عنه، ولَغَيْرُنا أعلمُ منا**». ولذلك ارتفعَ قدرُه، وعَظُمَ أمرُه، وانتشر في الأرض خبرُه، وكما قال جده صلى الله عليه وآله وسلم: (**ما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعه**)[1].

وقد كان رضي الله عنه كريمَ البذل، سخيَّ العطاء، كثيرَ الإنفاق، واسعَ الجود، روى يحيى بن أبي بُكَيْر، عن هيَّاجِ بن بِسطام، قال: «**كان جعفر بن محمد يُطْعِمُ حتى لا يَبْقَى لِعياله شيء**».

---

(١) الصحيحة برقم: (٢٣٢٨).

وَلَو لَم يجدْ من مالِهِ غيرَ نفسِه لَجَادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائِلُه

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنسان].

عباد الله! وما كان للزهد والتقشف أن يخطئ سليل الزهاد، وحفيد العباد، قال سفيان الثوري: «**دخلت على جعفر بن محمد وعليه جُبَّةُ خَزٍ، وكساء خَزٍ أَيْدَجَانِيٌّ، فجعلت أنظر إليه متعجباً، فقال: مالك يا ثوري؟ قلت: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ليس هذا من لباسك، ولا لباس آبائك، فقال: كان ذلك زماناً مقتراً، وكانوا يعملون على قدر إقتاره، وهذا زمان قد أسبل كل شيء فيه، ثم حَسر عن جُبَّتِه فإذا فيها جُبَّة صوفٍ بيضاء يَقْصُر الذيلُ عن الذيلِ، فقال: لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه**».

ومن كلامه رضي الله عنه: «**إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبةً عُجِّلت، وإن كان على غير ما يقول كانت حسنةً لم تعملها**».

وحقاً! لقد كان صافيَ النفس، واسعَ الأفق، مُرهفَ الحس، مُتوقدَ الذِّهن،

كبيرَ القلب.. يَلتمس في غضبه الأعذار للآخرين.. حادَّ البصيرة، ضاحكَ السن، مُضيءَ القسمات، عَذْبَ الحديث، سبَّاقاً إلى الخير، براً طاهراً، وكان صادقَ الوعدِ تقياً.

ومن وصيته رضي الله عنه لابنه موسى: «**يا بُني! اقبل وصيتي، واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتَها تعشْ سعيداً، وتَمتْ حميداً. يا بُني! من رضيَ بما قُسم له استغنى، ومن مدَّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرضَ بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلةَ نفسه استعظم زلةَ غيره، ومن استصغر زلةَ غيره استعظم زلةَ نفسه. يا بُني! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن احتفرَ لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حُقِّر، ومن خالط العلماء وُقِّر، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم. يا بُني! إياك أن تُزْرِي بالرجال فَيُزْرى بك، وإياك والدخولَ فيما لا يعنيك فتذلَّ لذلك. يا بني! قل الحق لك أو عليك تُستشأن من بين أقرانك. يا بني! كن لكتاب الله تالياً، وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإياك والنميمة! فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، وإياك والتعرضَ لعيوب الناس! فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف. يا بني! إذا طلبتَ الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادنِ أصولاً، وللأصولِ فروعاً، وللفروعِ ثمراً، ولا يطيب ثمر إلا بأصول، ولا أصلٌ ثابت إلا بمعدن طيب. با بني! إن زرت فزر الأخيار، ولا تزر الفجار،**

فإنهم صخرة لا يتفجَّر ماؤها، وشجرة لا يخضرُّ ورقها، وأرض لا يظهر عشبها. قال علي بن موسى: فما ترك هذه الوصية إلى أن توفي».

فدونَكم هذه الوصيةَ الجامعةَ لأصول الفضائل، القاطعةَ لجذورِ الرذائل، من إمامٍ خبير، وعالمٍ نحرير، وزاهدٍ عابدٍ كبير.

وكان رحمه الله قويَّ الصلةِ بالله، عظيمَ الثقة بمولاه، دائمَ الدعاء والمناجاة، ومن دعائه الذي يحلو لنا أن نختم به خطبتنا قولُه: «**اللهمَّ احْرُسني بعينك التي لا تنام، واكنُفْني بركنك الذي لا يُرام، واحفظْني بقدرتِك عليّ، ولا تُهلكني وأنت رجائي، ربِّ كم من نعمة أنعمتَ بها عليّ قَلَّ لك عندها شكري! وكم من بليةٍ ابتليتني بها قَلَّ لك عندها صبري! فيا من قَلَّ عند نعمته شُكري فلم يحرِمني! ويا من قَلَّ عند بليته صبري فلم يَخذُلني! ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني! ويا ذا النعمِ التي لا تُحصى أبداً! ويا ذا المعروفِ الذي لا ينقطع أبداً! أَعِنِّي على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبتُ عنه، ولا تكِلني إلى نفسي فيما خطرت.**

يا من لا تضرُّه الذنوب! ولا تُنقِصُه المغفرة! اغفر لي ما لا يضرك، وأَعطِني ما لا يُنقِصُك، يا وهاب! أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافيةَ من جميع البلايا، وشكرَ العافية».. آمين اللهم آمين.

هذه نفحاتٌ من شَذا عِطرِ هذا الإمامِ الناطق، ذي الزمامِ السابق،

أبي عبد الله جعفرِ الصادق، الذي أقبل على العبادةِ والخضوع، وآثر العزلةَ والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع، فرحمه الله ورضيَ عنه وعن أبيه الباقر، وسائر آل البيتِ الكرام، والصحابةِ العظام، ومن سار على نهجهم من كل عامِّيٍ وإمام.

عباد الله! قال الله تعالى ولم يزل قائلاً حكيماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب].

اللهم فصلِّ وسلم وزد وبارك وتحنن وترحم على إمام الحنفاء، وسيد الأنبياء، وقدوة الأتقياء، وأصفى الأصفياء، محمد المصطفى، وآله وصحبه بدور الدجى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها.

اللهم يسر أمورنا، واشرح صدورنا، ونور قلوبنا وعقولنا، وعاف أبداننا، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، واستر عيوبنا، وحسن أخلاقنا، وطهر قلوبنا.

اللهم انصرِ الإسلام وأعز المسلمين، واخذُلِ الكفرة والمشركين، بقوتك يا قوي يا متين.

والحمد لله رب العالمين، وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الفهـــرس

في علو مكانة الصحابة والقرابة ٩
جهود الصحابة في الفتوحات الإسلامية ١٩
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٣٢
الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٤٦
ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ٥٨
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٧٢
أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٨٧
فاطمة الزهراء رضي الله عنها ١٠١
حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ١١٣
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ١٢٣
العباس بن عبد المطلب وبعض بنيه رضي الله عنهم ١٣٥
الحسن بن علي رضي الله عنه ١٤٥
الحسين بن علي ومحمد بن علي رضي الله عنهما ١٦٠
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١٧٤
زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما ١٨٧
الإمام الباقر وابنه جعفر الصادق رضي الله عنهما ١٩٩
الفهـــرس ٢١١


تم بحمد الله